

أزواج وزوجات

أمام الطبيب النفسي

الدكتور : عادل صادق



616

الجزء الثاني من أسرار البيوت في العيادة النفسية



قطاع الثقافة

رئيس مجلس الإدارة :

إبراهيم سعدة

رئيس التحرير :

الدكتور/ رفعت كمال

كتاب

اليوم

الطبي

سبتمبر ١٩٩٦

□ العدد ١٧٤ □

أسعار كتاب اليوم في الخارج

| | |
|------------------|-------------|
| الجمهورية العظمى | ١ دينار |
| المغرب | ١٥ درهم |
| لبنان | ٢٥٠٠ ليرة |
| الأردن | ١٥٠٠ فلس |
| العراق | ٧٠٠٠ فلس |
| الكويت | ١ دينار |
| السعودية | ١٠ ريال |
| السودان | ٢٢٠٠ قرش |
| تونس | ٢ دينار |
| الجزائر | ١٧٥٠ سنت |
| سوريا | ٧٥ ل. هـ |
| الحبشة | ٦٠٠ سنت |
| البهريين | ١ دينار |
| سلطنة عمان | ١ ريال |
| غزة | ١٥٠ سنت |
| ج. اليمينية | ١٥٠ ريال |
| الصومال | ٨٠ بيتي |
| السنتقال | ٦٠ فرنك |
| الإمارات | ١٠ درهم |
| قطر | ١٠ ريال |
| انجلترا | ١,٧٥ ج.ك |
| فرنسا | ١٠ فرنك |
| ألمانيا | ١٠ مارك |
| إيطاليا | ٢٠٠٠ ليرة |
| هولندا | ٥ فلورين |
| باكستان | ٣٥ ليرة |
| سويسرا | ٤٠ فرنك |
| اليونان | ١٠٠ دراخمة |
| النمسا | ٤٠ شلن |
| الدنمارك | ١٥ كرون |
| السويد | ١٥ كرون |
| الهند | ٢٥٠ روبية |
| كندا | ٣٠٠ سنت |
| البرازيل | ٤٥٠ كروزيرو |
| نيويورك واشنطن | ٢٥٠ سنتا |
| لوس انجلوس | ٤٠٠ سنت |
| أستراليا | ٤٠٠ سنت |

● الاشتراكات ●

جمهورية مصر العربية

قيمة الاشتراك السنوى ٤٨ جنيها مصريا

البريد الجوى

دول اتحاد البريد العربى ٢٥ دولارا

اتحاد البريد الافريقى ٣٠ دولارا

أوربا وأمريكا ٣٥ دولارا

أمريكا الجنوبية واليابان وأستراليا

٤٥ دولارا أمريكيا أو ما يعادله

● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور

● ترسل القيمة إلى الاشتراكات

٣ (١) ش الصحافة

القاهرة ت: ٥٧٨٢٧٠٠ (٥ خطوط)

● فاكس: ٥٧٨٢٥٤٠

● تليكس دولى: ٣٠٣٢١٠

● تليكس محلى: ٢٨٢

أسرار البيوت فى العيادة النفسية

الجزء الثانى

أزواج وزوجات أمام الطبيب النفسى

بقلم الدكتور:

عادل صادق

أستاذ الطب النفسى
كلية الطب جامعة عين شمس



الإشراف الفني :

خالد فرحات

الغلاف بريشة :

عمرو فهمي

مؤلف هذا الكتاب

الدكتور عادل صادق

- أستاذ الطب النفسى والأعصاب بكلية الطب — جامعة عين شمس .
- دكتوراة الطب النفسى .
- زميل الكلية الملكية للأطباء النفسيين بلندن .
- زميل الجمعية الأمريكية للطب النفسى .
- سكرتير عام الجمعية المصرية — الفرنسية للطب النفسى .
- عضو مجلس إدارة الجمعية المصرية للطب النفسى .
- عضو الاتحاد العالمى للطب النفسى .
- مستشار هيئة الصحة العالمية فى الطب النفسى .
- عضو الجمعية المصرية — الأمريكية للطب النفسى .
- رئيس تحرير مجلة « تحديث الطب النفسى » .
- ممتحن خارجى فى جامعة لندن .
- حاصل على جائزة الدولة فى تبسيط العلوم عام ١٩٩٠ .

— صاحب أكثر من مائة بحث علمي منشور في المجالات العلمية المحلية والعالمية .

— صدر له ٢٥ كتاباً في الطب النفسي .

— تخرج على يديه مئات من الأطباء النفسيين الحاصلين على الماجستير والدكتوراة والذين يعملون في مصر والبلدان العربية وجميع أنحاء العالم .

أسرار
البيوت
في
العبادة
النفسية

الجزء
الثاني

كارثة: والسبب حرمان
الأرملة من الزواج

أزواج
وزوجات
أمام
الطبيب
النفسى

سألتها : كم عدد أيام الاسبوع

قالت : ثمانية ..

سألتها : كم عدد أصابع يدك ؟

قالت : أربعة

سألتها : كم الساعة الآن .. ؟

قالت : اننا نقرب من الفجر . !

وانفجر بركان الغضب حولها ..

هذه الأرملة الشابة .. التي حضرت إلى العيادة النفسية مع أهلها

عندما تدهورت حالتها بعد أن رفض الجميع الزواج منها للمرة

الثانية !!

● اللقاء الأول :

مظاهرة .. الضحية وأربعة يحيطون بها .. ملامحهم متشابهة

تنبئ برابطة دم من الدرجة الأولى يؤكدها جزعهم الواضح والمبالغ

فيه .. ربما لاحساسهم بذنب غير مقصود أدى الى وجودهم جميعا

حولها .. الأم تحتضنها ، والأب ممسك بيدها والأخت تساند ظهرها ،

والأخ لم يجد له مكانا للمشاركة فآثر الابتعاد ..

.. هي انفصلت عنهم بوعيها رغم ملاحقتهم لها .. شبه غائبة ..

وعينا لم تفقده بالكامل .. فبدت مذهولة الوجه .. متصلبة الجسد

بارادة النظرات ..

أجلسوها فجلسيت .. توجهت ثمانى عيون نحوى وانطلقت أربعة

السنة فى وقت واحد .. لم أفهم شيئا ..

أشار الأب عليهم بالسكوت وبدأ يتكلم .. بعد كلمة واحدة أو جزء

من كلمة انطلق لسان الأم .. لم أفهم شيئا .. رفعت يدي إشارة لهم

جميعا بالسكوت .. استدرت إلى المريضة .. تكلمى أنت .. مالك .. إيه

الى بيتك ؟ ..

● خرج منها صوت طفلة في الخامسة رغم أن عمرها قد تجاوز الثلاثين تقريبا .. بعض حروف كلماتها غير واضحة أو مستبدلة بحروف أخرى .. « الرء » تنطق « لام » « والشين » تنطق « سين » .. تماما كطفل لا يجيد الكلام ..

● لم تستطع الأم الالتزام بالصمت .. وضاعت كلماتها بفعل حشجة بكائها .. فأنهار الأب وعبر عن أسفه وتحسره بضرب أحد كفيه بالآخر وكأنه ينفض يديه من شيء علق بهما ..

● نظرت المريضة إليهما واكتسب وجهها الذاهل بابتسامة بلهاء وكأنها متخلفة عقليا لا تدرك حزن والديها من أجلها ..

● ظهر الغضب على وجه شقيقها .. استثارته ابتسامتها إزاء انهيار والديه: دى يتمثل يادكتور .. بتدعى انها مجنونة أنا عازف هى بتعمل كده ليه .. غضبه ساعد على تماسكه .. فطلبت منه أن يخكى لى أقفهم .. وكانت القصة كالآتى:

المريضة أرملة في الثالثة والثلاثين من عمرها .. مات زوجها في حادث منذ ثلاث سنوات تاركا ثلاثة أطفال أكبرهم الآن في التاسعة وأصغرهم في الرابعة ومعاشا ضخما وشقة تملك ..

● أثبت أن تغادر شقتها الى منزل الأسرة، فأقامت فيها مع أطفالها ..

وتبادل أفراد أسرتها الإقامة معها ..

● انصرفت الى تربية أطفالها بعد أن أقسمت في يوم وفاة زوجها ألا تتزوج مدى الحياة، وأعطت وعدا بفاظك لأسرة زوجها .. كانت صادقة الوعد لهم، ولكن ذلك لم يمنعهم أن يلحوا بأخذ الأطفال والشقة قبلهم في حالة حثتها .. أما أسرتها فكانت أكثر تأكيداً وحزمًا على عدم زواجها حرصا على الأطفال ..

● انصرف كل إلى حاله بعد أن اطمئنوا الى وعدها .. وحبها ..

واجهت كل الأعباء.. واكتفى الجميع من حين لآخر بتوجيه كلمات الإعجاب والتقدير لتحملها مسئوليتها دون مشاركة فعلية من أحد.. مسئولة عن إتمامهم وتربيتهم وتعليمهم وصحتهم.. ومسئولة أيضا عن كبت مشاعرهم بالوحدة..

ومن وقت لآخر كانت تسمع توجيهات مهذبة من الأسرتين، بأن عليها أن تكون حذرة في كل تصرفاتها وتحركاتها حتى لا تتعرض للقليل والقال.. وكان ذلك أكثر من قدرتها على الاحتمال..

● قضت ثلاث سنوات وكأنها ثلاثين عاما.. شعرت بذبول الجسد وذبول الروح بين الجدران الصماء الباردة.. فقررت أن تعمل دون أن تكون في احتياج لمال.. عارضها الجميع بقسوة.. فاستسلمت.. ولكن بدأت تتدهور صحيا.. لازمها الصداق.. وآلام المعدة.. وتنميل الأطراف.. واضطراب الدورة.. وأقسى المتاعب كان الأرق..

فسمحو لها بالعمل بشرط الانضباط الشديد في المواعيد.. وقرر أبوها أن ينتقل للإقامة معها بصفة دائمة بعد إحالته للمعاش، والهدف الخفى كان ملاحظة تحركاتها ومواعيدها.. أفزعهم خروجها للعمل.. إشتموا من ذلك رائحة تمرد..

● تحسنت حالتها الصحية، وظلت على التزامها وضاعت من اهتمامها بأطفالها تعويضا عن الساعات التي اقتنصها العمل.. شيء واحد لم يفارقها.. الأرق والاحساس بالبرودة التي ترددت بسببها على العديد من الأطباء دون فائدة.. وفجأة أعلنت الجميع بقرار كان صاعقة عليهم: زميل لى يريد أن يرتبط بى ولقد وافقت..

أسرة الزوج كانت أكثر لياقة. وكأنها كانت تتوقع ذلك، فبدأت بجوار هادئ حول ضم الأطفال وأخذ الشقة.. أما أسرتها فانفجرت كبركان.. انطلق من البركان كلمات صفعتها بعنف يتساوى مع عنف

صفعة أبيها لأول مرة: كارثة — فضيحة — مصيبة — الأولاد — الشقة — ستطلقين بعد حين بعد ضياع الأولاد والشقة.. كم يهدأون بعض الوقت لتتطلق حمم ملتبهة من نظراتهم الضامة.. كلها تحمل تساؤلا واحدا: لماذا الزواج!! وكجندى تخلف عن الانسحاب فحاصرته طائرات العدو فقرر بدون وعى أن يغيب عن الوعي استعدادا لموت لا يريد أن يشعر به.. غابت هي عن وعيها ثلاثة أيام متوالية.. أفاقَت وهي على هذه الحالة: تخطيء في أسمائنا.. تدعى أن لها أربعة أطفال تقر أن عمرها عشرين وأحيانا خمسين.. الأسبوع ثمانية أيام.. وبكل يد ست أصابع.. هي تدعى أم فقدت عقلها؟ لا تدري!! تبدو وكأنها منومة.. تتحدث كالأطفال وأحيانا تحبو مثلهم.. ولأسف فإنها أحيانا أيضا تتبول كرضيع.. أرجو فخصها لعرف حقيقة أمرها..

● اللقاء الثاني :

● لا أصدق يا طبيب اننى كنت في هذه الحالة!!

عند لقد كنت مشوشة الوعي، ولهذا صدرت عنك هذه التصرفات الغريبة..

● اننى لا أتذكر شيئا عن هذه التصرفات:

— وهذا يؤكد الخلل الذى أصاب وعيك..

● وكيف عدت بى الى حالتى الطبيعية؟

— كنت محتاجة الى أن تتكلمنى.. أن تعبرى عن نفسك.. أن

تخرجى مشاعرك على لسانك التسمعها أذناك وأسمعها منك.. هذا وحده كاف لأن يهدأ الاثنان ويعود إليه وعيه الكامل..

● وما تشخيص حالتى.. لماذا أصببت بهذه الحالة؟ انطقى الطهر وكأننى كنت في سفر بعيد.. في أرض غريبة.. أشعر كأننى كنت في حلم طويل وأفقت منه..

ولا أتذكر شيئاً من أحداثه.. أشعر كأنك سحبتنى من بئر مظلمة
 سحيقة.. ذاكرتى مفقودة عن تلك الأحداث التى مرت بى. حين أحاول
 استرجاعها لا تسعفنى ذاكراتى إلا بأشباح غير محددة الملامح
 وأصوات تبدو مبهمه تجيء من بعيد كالصدى. أرجوك أن تعود بى
 الى تلك المرحلة لأتعرف عليها..

● اللقاء الثالث :

أول من وصف حالتك طبيب نفسى إسمه جانسر فى عام ١٨٩٨..
 وسميت الحالة بإسمه.. أى أنك كنت تعانين من حالة «جانسر».
 واحترار العلماء فى طبيعة هذه الحالة.. هل هى حالة نفسية
 أم عقلية؟.. هل هى هستيريا أم اكتئاب أم فصام؟.. بل وصل بهم
 الأمر الى الاعتقاد بأنها ادعاء!.. أى محاولة تمثيل المرض العقلى..
 ولأنها أكثر انتشارا بين من يقضون جكمه بالسجن أو من ينتظرون
 حكما بالاعدام، فقد أطلق عليها «ذهان السجن»: فالسجن معناه
 ألا مفر.. والاعدام معناه النهاية.. وذلك أمر قد لا يحتمله العقل
 الواعى..

ولهذا يحدث انفصال.. انفصال العقل عن الواقع. والنكوص الى
 مرحلة الطفولة حيث لا مسئوليات ولا صراعات.. حيث لا مستحيل
 وأن كل شىء ممكن.. حيث النجاة مؤكدة.. وهى حالة تشبه المرض
 العقلى.. فالمرضى العقلى منفصل عن الواقع.. وأبرز أعراض تلك
 الحالة هى الاجابات التقريرية.. لقد أعطيتك بعض المسائل الحسابية
 فكانت اجاباتك على النحو التالى: $٢ + ٤ = ٧$ ، $٢ + ٤ = ٨$ ، $٥ + ٥ = ١٠$ ، $٣ - ٣ = ٠$ ، $٢ - ٢ = ٠$..

سألتك عن عدد أيام الاسبوع فكانت اجابتك انها ثمانية أيام..
 سألتك عن عدد أصابع يدك اليمنى فكانت اجابتك انها أربع.. وهكذا..

هذا يعنى انك فهمت المقصود من السؤال ولكنك أجبت إجابة خاطئة
تماما كما يحدث مع الطفل..

— سألتك عن الوقت فقلت أننا في الفجر رغم أننا كنا في منتصف

النهار..

● مثل هذه الاجابات عن هذه الأسئلة البسيطة حين تصدر من
انسان متعلم تبدو وكأنه يسخر أو انه يحاول أن يدعى أنه مصاب
باضطراب في عقله.. ولذلك كان الشك فيمن يصابون بهذه الحالة: هل
هم مرضى حقيقيون أم انهم يدعون المرض لكي يحققوا مكسبا من
هذا الادعاء..

والذى يزيد من الشك ان هذا المريض قد يجيب على سؤال بأنه لا
يعرف..

● أرجوكم أن تصدقنى أننى لم أكن أدعى أى شيء.. فأنا لا أتذكر
شيئا عن هذه الفترة.. وإذا كانت تلك الاجابات الساذجة الخاطئة قد
صدرت منى فعلا فإننى لا أستطيع أن أقدم لك تفسيراً لماذا كنت
أجيب بهذه الطريقة..

— أنا لا أقصد أن الطب يشك فيك.. ولكن الشك يأتى من
المحيطين بالمريض.. فأنا أصدقك تماما.. فهذه الحالة ليست ادعاء
كاذباً، كما أنها لا تتم على مستوى العقل الواعى.. الحالة مصدرها
العقل الباطن أو اللاشعور..

— الذى يؤكد ذلك العرض الثانى للحالة، وهو تشوش الوعى..
فالمريض يبدو كالمذهول أو المأخوذ.. لا يستطيع أن يركز نظره على
شيء محدد، متجمد الوجه أو قد يظهر قلق منبهم على ملامحه.. غير
مدرک للزمان أو المكان ويجد صعوبة فى الانتباه الى أى شيء حوله
مع اضطراب واضح فى ذاكرته للأحداث البعيدة والأحداث الغريبة..
وقد تضطرب حركته فلا يستطيع المشى وقد يتخشب مكانه، كما

يفقد الاحساس فلا يشعر بوخز الابرة أو بلسع النار..
● لا أستطيع أن أتصور اننى كنت أمر بهذه الحالة أريد أن أعرف
الآن لماذا أصبت بها.. ولماذا تصيب أى انسان..
● كما ان لنا طاقة جسدية تستطيع أن تتحمل الى حد معين. بعدها
تخور قوانا ونقع.. فإن لنا طاقة نفسية لا تستطيع أن تتحمل إلا إلى
قدر معين..

والجسد معاناته واضحة، أى ظاهرة للعين المجردة.. عين الطبيب
وغير الطبيب.. وكلنا تعودنا أن نعبّر عن آلام جسدنا.. أن نقول «أه»
فيسمعنا الآخرون ويشعرون بنا، ويتعاطفون معنا ويهبون
لمساعدتنا.. فلا عيب ولا حرج..
ونتهم انسانا بالظلم وغلظة القلب إذا ضغط على انسان آخر
وأرهمه جسدياً أو إذا لم يستمع الى آنين جسده..

كل هذه الحقوق التى منحناها للجسد أنكرناها على النفس.. أولاً
لأنها شىء غير مرئى.. أى اننا لا ندركها بأعيننا.. وإنما نحتاج لأن
ندركها بمشاعرنا.. إذا أردنا أن نسمع الى آنين النفس البشرية فإننا
نلجأ الى آذاننا الداخلية.. آذان معلقة فى الوجدان.. وذلك يتطلب أن
تكون لنا القدرة على أن نضع أنفسنا فى مكان هذا الانسان حتى
نتخيل كيف يشعر، ثم نشعر كما يشعر.. أى أن نتألم كما يتألم هو..
وذلك.. مالا يستطيعه أى انسان.. لأن كل انسان له شخصية خاصة
به.. له مشاعر وأفكار مختلفة.. له ظروف واحتياجات مختلفة فإننا
لا نستطيع أن نتصور قدر احتمال.. قدر معاناته.. حجم الأنين
الصادر عن نفسه..

ولهذا فالانسان غير مدرب وغير مؤهل لأن يستمع الى آنين نفس
انسان آخر..

ولأننا أحياناً نكون مسئولين عن معاناة هذا الانسان، فإننا

نرفض أن نشعر به.. نرفض أن نتحمل مسئولية الاحساس بآلامه..
ولأننا أحيانا نكون أنانيين ولا نبحث إلا على مصلحتنا وما يرضينا -
وذلك قد يكون على حساب انسان آخر فإننا لذلك نرفض آلام هذا
الانسان وقد نتعمد في الضغط النفسي عليه.. فتزداد آلامه الى حد
لا يتحملة.

وهنا لا يكون أمامه إلا أحد ثلاثة سبل: إما أن يتخلص من حياته،
وإما أن يصاب بالجنون فيستريح لانفصاله الاجبارى عن واقعه
المؤلم.. وإما أن يفصل بجزء من وعيه فيظل مرتبطا بواقعنا بخيوط
غير مرئية ولكنه يبدو وكأنه منفصل تماما..

العقل الباطن هو الذى يقوم بعملية الانفصال هذه.. انه دفاع عن
النفس وحماية لها من الجنون أو الانتحار.. انها اجازة من الواقع
المؤلم.. راحة اجبارية يفرضها العقل الباطن.. فالأمر لم يعد
محتملا.. وحل المشكلة مستحيل.. والفرار منها غير ممكن..

إذن لا حل.. «ولا حل» هذه معناها اليأس.. والأسى.. والألم..
معناها أن الحياة نفسها لم تعد تحتل.. والناس لا ترحم.. لا أحد
يريد أن يشعر بفداحة مشكلتى وصعوبة موقعى.. لا أحد يريد أن
يرفع عن كاهلى بعض الضغوط.. بل هم يضطرون أكثر وأكثر..

لا حب ولا تعاطف.. لا تقدير ولا مشاركة.. على أن أتقبل كل
شئ وحدى ولا أشكو.. ولكنى لا أستطيع تحمل المزيد.. فالموقف
لا يحتمل ولا أحد يدرك أو يريد أن يشعر بذلك.. فلا هرب.. فليذهب
وعى.. وبذلك لا أرى المشكلة ولا أعيشها.. فلا أكون انسانا آخر..
انسان ليس له علاقة بهذه المشكلة.. وليس له علاقة بهؤلاء الناس
الذين لا يشعرون ولا يقدررون.. لعلهم ينتهون.. فإذا مندوا يد
المساعدة فلا عودة إليهم مرة ثانية فأنا لم أنفصل بكل وعى بل
ببعض وعى.. أنا مازلت مبقية على بعض الروابط..

إذا سألونى سؤالاً سأجيب الاجابة الخطأ.. فهمى للسؤال يعنى اننى أعيش واقعهم.. إجابتي الخطأ تعنى اننى منفصلة عنهم.. سيظل وعيى غائبا حتى تمتد يد الى.. حتى يسمع أحد صرخاتى.. انها كصرخات الغريق الذى لا بد أن تمتد اليه يد وإلا غرق.. وأنا أريد أن أغرق.. أنا أريد أن أعيش.. ولكن ساعدونى.. وبداية المساعدة تكون بأن تتفهموا ظروفى.. تتفهموا احتياجاتى.. تتفهموا قدراتى.. وهذا معناه الحب.. وبذلك أستطيع أن أواجه مشكلتى.. أستطيع أن أحلها.. أستطيع أن أتخذ قرارا دون خوف ودون صراعات تتجاوزبنى وتمزقنى..

لا تطلبون منى أن أثبت شجاعتي بأن أقفز من الدور العشرين.. لا تطلبوا منى أن أثبت قدراتى على الصبر بأن وعيى احتمل النار على جسدى.. لا تطلبوا منى أنؤكد سمو روحى بأن أمتنع عن الطعام والشراب حتى الموت.. لا تطلبوا ممن حكم بشنقه أن يظهر كبرياؤه ولا يصرخ مستنقذا..

●● وهل من الممكن أن يصاب أى انسان بهذه الحالة؟

— هذا يتوقف على عاملين: أولهما شخصية الانسان أى قدرته على التحمل والمواجهة.. وثانيهما حجم ونوعية الضغوط التى يتعرض لها هذا الانسان.. وهذه الحالة بالذات هى نموذج لمجموعة من الحالات الأخرى التى قد يتعرض لها الانسان اذا واجهته ضغوط أو مشاكل لا يقوى على مواجهتها أو حلها أو تحملها..

وقد يعبر الانسان عن معاناته النفسية بأن يصاب بالصداع أو القىء أو بالآلام فى كل جسده أو بأن يفقد الإحساس أو بأن يفقد وعيه.. أو بأن يقرر — لا شعورياً — بأن يغادر المكان والناس، ويهرب بعيدا تاركا أيضا ذاكرتة. المحور الأساسى فى كل هذه

الحالات هو الهروب.. وذلك كما قلت يتوقف على نوعية الشخص غير القادر على التحمل أو المواجهة..

ولكن هناك ضغوطا تفوق احتمال أى انسان.. ضغوطا يكون مصدرها غالبا انسانا آخر.. انسانا قد يكون من أقرب الناس.. انسانا طاغية غلظ قلبه لا يهتز له وجدان وهو يضغط على عنق انسان آخر.. انسان استبد به الغرور وغرته قوته فتكبر.. انسان أنانى يسعى لتحقيق رغباته على حسابك وتجد نفسك مضطرا للحياة مع هذا الانسان أو للتعامل المستمر معه.. فإن حياتك تكتسب طمعا مرا لا تستطيع أن تتخلص منه ويلازمك فى كل وقت.. يضيق صدرك حين تراه أمامك.. وتكره نفسك حين تضطر للحياة أو التعامل معه.. وتحاول أن تتماسك وأن تبتلغ المرارة بل وتقهر نفسك على أن تعتاد هذا المذاق..

ولكن مع مرور الوقت ومع ازدياد الضغط تفقد قدرتك على الاحتمال وخاصة حين لا تستطيع مواجهته أو معاملته بالمثل كما لا تستطيع الهرب منه..

● هنا تبدأ الأعراض فى الظهور.. تبدأ بالأعراض الجسدية، الصداع والقيء والآلام والاحتياج للمهدئات من أجل النوم.. وفى الأزمات الحادة يحدث الانفصال عن الواقع فى (صورة جانسر) أو شروذ أو حالة من النسيان أو غيبوبة..

● مشكلة الانسان أحيانا تكمن فى انه يعجز عن اتخاذ القرار.. إمّا لأن القرار ليس بيده.. أو لأن ظروفه معقدة تمنعه من اتخاذ القرار.. أو لأن بداخله خوفا وضعفا يعجزه عن اتخاذ القرارات للهامة والمصيرية فى حياته.. قرارات مثل الطلاق والزواج والهجرة وتغيير العمل.. إلخ.. وبالرغم من أن اتخاذ القرار يحل المشكلة، إلا أنه يتردد فى اتخاذه.. يظل فى حالة تردد دائمة.. يظل فى حالة تأرجح دائم..

يأخذ القرار مع نفسه ثم يعدل عن قراره .. وذلك هو الصراع الذي يزيد من قلقه ويضعف من مقاومته ويجعله عرضة للنكسات النفسية في أى من الصور التى سبق وصفها ..

والنصيحة هنا لا تجدى ، فهو يعرف القرار السليم ولكن المشكلة تكمن في عجزه عن اتخاذ هذا القرار ..

ولا نستطيع أن نزيد معاناته بأن نوجه له اللوم على ضعفه .. فربما لو كنا في نفس موقفه وظروفه لعجزنا مثله عن اتخاذ القرار الذى نراه سليما .. فإله وحده أعلم بخبايا نفس كل إنسان والتى قد يجهلها هو ذاته وذلك هو الأرجح ..

أسرار
البيوت
في
العيادة
النفسية

الجزء
الثاني

مجهول ينافسني
في حب زوجتي !

أزواج
وزوجات
أمام
الطبيب
النفسى

هناك رجل آخر بينى وبين زوجى !

اننى لا أعرف هذا الرجل..

ولكن.. زوجى يؤكد انه موجود ليس فى بيتنا.. ولكن فى قلبى!

ما أتعسنى ..

ان الغيرة تنهش قلب زوجى دائما..

وأنا البريئة المعذبة.. التى تعيش فى نيران الشك والغيرة!

أحيانا يبحث الإنسان عن حل لمشكلته وهو يعلم عن يقين ألا

حل لها..

لذلك فإنها حين بدأت تتكلم كان صوتها يجسد معنى كلمة

اليأس.. ويأس إنسان يمكن ان تتعرف عليه من نبرات الصوت، مثلما

يمكن التعرف عليه من ملامح الوجه وخاصة العينين حين ينطفئ

بريقهما.. كما فى حالة الموت.. فنفض الحياة يضى على العينين بريقا

خاصا.. حين ينطفئ البريق فهذا يعنى الموت أو اليأس.. اذن اليأس

شكل من أشكال الموت.. موت الأمل..

● قالت :

ما أقطع ان يشك إنسان فى اخلاصك ..

فى البداية لم أكن أفهم معنى نظراته وتصرفاته الغريبة..

نظراته أحيانا كانت تخيفنى رغم عدم فهمى لمغزاها.. كل ماكنت

أشعر به انها نظرات تجردت تماما من الحب.. نظرات جامدة كأنها

تفحص أو تبحث عن شىء بإمعان.. تبحث عن شىء خفى.. كان

يركز نظراته فى عيني وكأنه يريد أن يخرقهما ليقرأ مايدور فى

رأسى..

كانت النظرات الجامدة الفاحصة تتبعنى فى كل حركاتى.. كنت

أشعر بها تخترقنى حين كنت أعطى ظهرى له.

وسرعان ماتحول إلى نظرات ودودة.. مفرطة فى البود، وكأنها

تحمل إعتذارا على مابدأ منها..

أفزعنى أكثر سلوكه الغريب.. يعد العدة لسفر عمل يستغرق أياما ثم يفاجئنى بالحضور على غير موعد.. يخرج لعمله ثم يعود بعد ساعتين رغم حساسية مسئوليته متحججا انه مريض.. أفاجا به على مقربة من مكان عملى.. وفى البداية علل ذلك بالمصادفة ثم بوجود ارتباطات قريبة من هذا المكان ، وبعد ذلك عجز عن التعليل الذى لم أكن أطلبه منه.. وإنما كان يتطوع بتقديمه وكأنه كان يشعر بحرج.. ولو كنت سيئة الظن - فى هذا الوقت - لاعتقدت انه يراقبنى..

إذا رن جرس التليفون بالمنزل كان يقفز اليه دون مبرر من مسافة بعيدة ليرد هو.. وإذا تعذر عليه ذلك كنت أجده فوق رأسى وأنا أرد..

تطور الأمر بعد ذلك إلى تعليقات ضايقتنى تتعلق بملابسى وزينتى وخاصة فى حالة خروجى منفردة.. ولكنه يعتذر فى كل مرة رغم سوء وسخافة تعليقاته.. وكانت كلها تدور حول المحظوظ الذى اتزين له واستعد لمقابلته.. وحين عودتى كان يتأملنى بنظراته الجامدة الغريبة، وكان يفزعنى اقترابه منى بطريقة غير مألوفة لم أفهم وقتها انه كان يحاول ان يشم منى شيئا معنيا..

انفجر الموقف وتكشف لى الأمر تماما حين عدت يوما متاخرة قليلا عن المعتاد لظروف عملى.. وجدته واقفا خلف الباب.. انخلع قلبى هذه المرة لنظرات عينيه التى كانت تعكس عدوانا لم أخطئه..

نزلت الصاعقة فوق رأسى حين قال بصوت شرس:

مع من كنت..؟ .. لم استطع الاجابة.. كان كل ما بداخلى يهتز.. لوى ذراعى وقرب وجهه من وجهى : شعرك مهوش ومكياجك مختلف عن الحالة التى خرجت بها.. وأيضا ملابسك.. اعترفى.. مع من كنت..؟ من هو..؟ من هو..؟

بقوة لم أعهد لها فى نفسى خلصت ذراعى منه وانطلقت الى حجرتى مغلقة بابها خلفى بالمفتاح.. لم أكن خائفة بقدر ما كنت مدهوشة عاجزة عن التفكير تماما.. اندفع خلفى وكاد يكسر الباب، فتجت له

ووقفت أمامه بهدوء لم اتعمده.. كنت كالميتة.. فجأة تغيرت حالته تماما.. هداً كما تهدأ عاصفة على غير توقع.. وظل على مدى ساعة يعنّذر وأنا مستمرة في حالة صمت غير متعمد..

كنت عاجزة عن أن أنطق بحرف.. حتى دموعي لم أفهم سر انهماهما.. فيكل تأكيد لم أكن أشعرُ بأي حزن في هذا الوقت..

تحسنت الأحوال بعد أيام وعاد شبه طبيعي.. وبدأت أنا شخصياً أنسى.. حتى جاء يوم اسود.. جاء من الخارج واندفع إلى حجرة النوم.. هرعت خلفه فوجدته واقفاً على رأس السرير.. طلب مني أن أفسر سر التغيير الذي حدث في ترتيبه الذي كان عليه وقت خروجه.. مال على الفراش وأخذ يشمه بطريقة غريبة.. دفعني لأشم معه متسائلاً عن هذه الرائحة الغريبة التي تنبعث منه.. انها رائحة رجل غريب.. اعترف يا...

تركت المنزل إلى بيت أسرتي مصممة على عدم العودة.. طلبت الطلاق.. توسل واعتذر.. أظهر توبة نهائية.. أقسم بكل شيء على عدم العودة إلى هذا السلوك.. صفحت وعدت..

تسألني لماذا رجعت.. رجعت لأنى كنت أحبه.. والحب يسمح لك بقدرة أكثر على المغفرة وأن تنسى الاساءة.. وتصورت اننى ربما أكون المسئولة عن سلوكه.. قطعت صلاتى بمعظم الناس.. لم أكن أخرج إلا للضرورة القصوى.. امتنعت عن استعمال المساحيق لوجهي.. وهدأت حياتنا تماماً.. واعتقدت اننى نجحت في علاجه وفى المحافظة على حياتنا معاً.. حتى جاء يوم أكثر سواداً من أى يوم مر فى حياتى..

فاجأنى أيضاً على غير توقع.. طلب منى أن أنزل معه فوراً.

— إلى أين .. ؟

● إلى حيث أثبت خيانتك يا..

— عدت إلى الهذيان مرة أخرى..

● العمل سيثبت كل شيء.

أى معمل؟

● اعرف أنه كان معك الآن قبل حضوري.. الخيانة الكاملة وقعت الآن.. هذه هي فرصتى الوحيدة لأخذ عينة من داخلك تثبت معاشرته لك..

اندفعت بغير وعى إلى الشارع وهو خلفى.. انهال على ضربا.. خلصونى منه ذهبت إلى بيت أهلى..

الحياة معه أصبحت مستحيلة ليست فقط لصعوبتها وخطورتها.. ولكن أكثر لأن قلبى قد مات.. المضحك انه عاد يبكى من جديد طالبا الصفح..

● تسألنى يا طبيب ماذا انتظره منك..؟

— أريد منك أن تشفى جروح نفسى..

— أريدك أن تساعدنى على الخلاص منه..

— أريدك أن تساعدته.. أبدى استعدادا للمجىء اليك.. فهل هو

مريض!!

بداية أجيبك ياسيدتى على سؤالك الثالث.. وبعدها نحاول معا أن نجد الطريق لمساعدتك ومساعدته..

— هل هو مريض..؟

— نعم.. هو بلاشك مريض.. إنها الغيرة المرضية.. والشعور بالغيرة حالة وجدانية.. أى أنها مرتبطة بعواطف الانسان.. وهى لغة عالمية.. فى الكبار والأطفال.. النساء والرجال.. وأيضا الحيوانات.. ويصعب على أن أضع لك تعريفا للغيرة.. ولكننى أستطيع أن أصفها لك.. لقد حاول ذلك الفلاسفة والشعراء والأدباء والفنانون وأيضا الأطباء.. كلهم وصفوها بدقة أكثر مما عرفوها.. هى أقرب ما تكون إلى الخوف.. الخوف المرتبط بالرغبة فى الحفاظ على شيء يمتلكه

الانسان.. الخوف من فقدان.. كالأحساس بالأسى حينما يفقد الانسان شيئاً عزيزاً عليه.

● الانسان هنا يشعر انه مهدد بأن يفقد هذا الشيء الذى يمتلكه .. هناك انسان آخر يريد أن يستحوذ على ما يمتلكه.. فالتهديد قادم من انسان آخر.. هذا الانسان الآخر متميز عنه وإلا لما نجح فى أن يستميل زوجته .. وأيضاً التهديد قادم من الزوجة.. فهى قد اختارت أن تتركه.. واختارت الشخص الآخر.. هو يحبها ولكنه يكرهها أيضاً.. يكرهها لأنها أكدت إحساسه بالعجز أو على الأقل بأنه أقل من الانسان الذى اختارته.. إذن فهناك خليط من الحب والكراهية.. والكراهية تولد الغضب.. إذن شعور الغيرة هو خليط من العواطف..

والانسان الذى لا تتنابه مشاعر الغيرة هو إنسان متبلد وجدانياً.. هذا الانسان تكون علاقته بالناس وبالأشياء ميتة.. فهو لا يسعى من أجل أن يمتلك شيئاً.. وإذا امتلك شيئاً لا يحافظ عليه، فهو لا يستشعر الخوف من احتمال فقدان هذا الشيء.. وإذا فقدته فإنه لا يشعر بالأسى.. الانسان المتبلد وجدانياً ليس له طموح ولا يسعى من أجل التفوق.. والسعى من أجل التفوق هو محاولة امتلاك ما لا يستطيع أن يمتلكه الآخرون..

إنها المنافسة من أجل الحصول على هذا الشيء.. كالطالب الذى يسعى من أجل أن يكون الأول.. أو كالفرقة الرياضية التى تسعى من أجل الحصول على الكأس، أو الذى يدخل فى مسابقة من أجل الحصول على وظيفة أو جائزة.. الانسان فى كل هذه المحاولات يحاول أن يتغلب وأن ينتصر على ضعفه الموروث.. التغلب على إحساسه بالعجز.. وإذا امتلك الانسان الشيء الذى يسعى إليه فإنه يحافظ عليه لكى يستمر فى حالة معنوية مرتفعة وليؤكد أخقيته بهذا الشيء.. انه الطموح من أجل التفوق النابع من أحساس الانسان بالضعف والعجز..

والحب هو انتصار الانسان على الخوف.. أى هو الطمأنينة..
والزواج تأكيد لذلك.. ولذلك فإن كل طرف يشعر أنه امتك الطرف
الأخر.. ملكية مطلقة لا يشاركه فيه أحد.. ولأنها اختارته فهو الأكفأ
والأحسن.. ولأنه اختارها فهي الأفضل والأجمل.. ولذا فكل طرف
يشعر بأهليته وأحقية في هذا الامتلاك.. وعليه بعد ذلك أن يحافظ على
ما امتك..

الحب تملك.. والزواج توثيق لهذا التملك.. أو هو وسيلة للتأكيد..
وأيضاً وسيلة لتحذير الآخرين بالآ يقتربوا.. تثور الزوجة إذا
اكتشفت أن زوجها قد خلع «الدبلة» من أصبعه.. أول ما يتبادر الى
ذهنها أن ذلك يمثل دعوة لواحدة أخرى بأن تقترب موهما إياها أنه
غير متزوج.. الدبلة رمز لامتلاكها له.. أى صاحبة الحق الوحيد في
امتلاك هذا الرجل.. أعرف سيدة تدهورت حالتها الى حد الغيرة
المرضية وكانت البداية هى خلع زوجها للدبلة متحججا انها تسبب له
حساسية في أصبعه..

إذن فهناك غيرة طبيعية لدى كل انسان.. وكما أوضحت فهي
موجودة عند الطفل أيضاً.. فالطفل دائماً يريد أن يأخذ ما يمتلكه طفل
آخر.. كما أنه لا يتنازل إطلاقاً عن أى شىء يمتلكه.. وأيضاً فإنه
يباهى بما يمتلكه.. ويريد أن يؤكد دائماً أن ما يمتلكه هو الأفضل
والأحسن.. والطفل يغير من أبيه إذا اقترب من أمه.. فهو يعتبر أمه
ملكاً خاصة له، ويستنكر مشاركة الأب له فيها..

بعض الناس تكون هذه الغيرة الطبيعية متطرفة وزائدة عندهم..
وذلك يحدث في بعض الشخصيات التي تتسم بشكل عام
بالحساسية الزائدة والشك والمشاعر الاضطهادية التي تظهر في
مواجهة أى ضغط، أو عند الاحساس بالاحباط.. والحساسية الزائدة
قد يكون مصدرها بؤرة مدفونة أساسها الاحساس بالعجز
أو بالحقارة أو بالدونية.. فكلما زاد إحساس الانسان بالعجز..

أخذت الغيرة عنده أبعادا متطرفة تصل الى حد الاساءة لمشاعر الطرف الآخر.. والتفاوت الشديد بين الطرفين يدعم ويغذى أحاسيس العجز.. أقصد التفاوت الاجتماعى أو الاقتصادى أو التعليمى.. وخاصة إذا كان الرجل فى الوضع الأدنى..

ولكن هذا النوع من الغيرة لا يدخل فى نطاق المرض.. فهذه الغيرة لها أسبابها المفهومة، كما انها لا تنطوى على اتهام فعلى بالخيانة.. انما فقط تتعرض الزوجة للمضايقات وتضييق الخناق.. كمنعها من الخروج.. أو من التحدث مع الآخرين.. ومحاسبتها إذا تبسطت أو ابتسمت وهكذا..

ورغم انها ليست غيرة مرضية إلا انها تسبب مشاكل فى الحياة الزوجية، ومعاناة لكلا الطرفين.. وقد تنتهى الحياة الزوجية بالفشل.. أو على الأقل بسبب فقدان الحب والمودة بينهما.. وهو فشل أقطع ولكنه مقنع.. فالطلاق الروحى أسوأ وأكثر إيلاما من الطلاق الرسمى..

أما زوجك ياسيدتى فهو يعانى من الغيرة المرضية.. والأساس فى الغيرة المرضية هو الاتهام بالخيانة الكاملة أو باحتمال أو انتظار وقوعها.. الشئ المؤكد لديه ان هناك طرفا ثالثا.. فالمثلث هنا كامل الزوايا: الزوج والزوجة والعشيق.. الاعتقاد الراسخ هذا يدخل فى نطاق اضطرابات التفكير المرضية كالهذاءات أو الضلالات.. ومعناها ان فكرة خاطئة تسيطر على ذهن المريض مقتنعا بصحتها.. ولا يمكن اقناعه بعدم صحتها.. والمريض هنا يحاول العثور على أدلة ليؤكد ويدلل على صحة اقتناعه.

إذن محاولة الحصول على دليل ليست من أجل أن يقتنع هو ذاته.. لقد تعدى هو هذه المرحلة.. انه واثق تماما من وقوع الخيانة.. الدليل يحتاجه ليدرا عن نفسه الاتهام بأنه واهم، وأنه خاطيء وأن زوجته سيدة فاضلة.. يريد أن يثبت لها خيانتها.. يريد أن يثبت لها كذب

ادعاءها بأنها لم تخنه.. أى أن المشكلة لا تبدأ بالشك ومحاولة العثور على دليل لقطع الشك باليقين.. فاليقين موجود منذ البداية.. ولذا فإن أى محاولات لا ثبات البراءة من جانبها لا تجدى، بل تثير استهزاءه. وربما تدعم ظنه، ويعتبر أنها تحاول أن تغطى خيانتها وتلبس قناع البراءة الكاذب..

وتأتى أدلته ضعيفة واهية أو غير منطقية إلا انها بالنسبة له تمثل أدلة قاطعة.. كأن يجد شعره على الوسادة، أو يجد الفراش غير مرتب، أو يشم منه رائحة غريبة، أو أن نظرات عينيهما تتغير حين مقابلة انسان معين، أو أن تصرفاتها بشكل عام توحى بأن هناك شخصا آخر، أو انها غيرت نوع العطر الذى اعتادت على استخدامه، أو انها عند مرورهما بمكان معين تدير رأسها فى اتجاه معين، ان لون وجهها يتغير حين يرن التليفون، أو تتلهف للرد على التليفون، أو اعتذار الطالب بأن الرقم خطأ حين يرد هو، أو أن صوتها تغير ويوحى بمشاعر حب جديد، أو انها تتأثر حين سماعها أغنية معينة، أو انها تمتدح أخلاق وقدرات انسان معين، أو انه اكتشف خطابا مرسلا من صديقه لها، ولكنه يحوى عبارات ذات مغزى، أو ان زيارتها لبית أسرته قد زاد معدله فى الفترة الأخيرة.. الخ.. ورغم ضحالة هذه الأدلة إلا انها تعتبر قوية ونهائية بالنسبة له..

وقد تكون هناك محاولة الحصول على اعتراف منها وأحيانا يلجأ الى استعمال القوة للحصول على هذا الاعتراف حيث ان الرغبة فى الحصول على دليل تكون ملحة. ولا يهدأ لحظة من أجل الحصول على هذا الدليل.. ولذلك فإن كل سلوكه يدور فى هذا الإطار.. وهو الحصول على دليل مهما كلفه الثمن..

ولا توجد حالة غير مرضية إلا وقام صاحبها بالمراقبة ويتفرغ لذلك تفرغا كاملا أو يكلف شخصا آخر بهذه المهمة مهما كان الثمن أيضا..

سلوكه الجنىسى يتغير مع الحالة ويزيد فى طلب معاشرة زوجته

حتى يبعدها عن عشيقها..

والمريض بهذا النوع من الغيرة قد لا تكون لديه أى علامات مرضية أخرى.. فيبدو وكأنسان طبيعى تماما، متكيفا فى كل أمور حياته إلا فيما يتعلق بهذا الموضوع..

ولكن الغيرة المرضية قد تكون عرضا لمرض آخر كالإدمان الكحولى، أو إدمان الأفيون والكوكايين.. والسبب المباشر لها فى حالة إدمان الخمر هو حالة الضعف الجنىسى التى يصاب بها المدمن، وكذلك نفور زوجته منه لإدمانه.. هنا يعتقد أنها على علاقة بإنسان آخر..

مريض الفصام أيضا قد تكون أحد أعراضه تلك الغيرة المرضية.. مدرسة التحليل النفسى لها وجهة نظر أخرى فى موضوع الغيرة المرضية.. فالإنسان المصاب بهذه الحالة يعانى من الجنسية المثلية.. أى الرغبة فى نفس الجنس، ولكنها رغبة مكبوتة فى اللاشعور.. ولأنه لا يستطيع أن يقصح عنها لنفسه شعوريا، فيقوم بإسقاط الخيانة على زوجته.. فهو أساسا يحب هذا الرجل الذى يتوهم أن زوجته على علاقة به.. فبدلا من أن يقول أنا أحب هذا الرجل، فإنه يقول أنا أكرهه لأن زوجتى تحبه.. فالجنسية المثلية هى الأساس فى كل مشاعر الاضطهاد المرضية.. أى أنه يتخلص من مشاعر الجنسية المثلية من خلال عملية الإسقاط..

وإذا بحثنا عن جذورها فى الطفولة فإننا نجد لها مبنية على الغيرة من الأب الذى استحوذ على الأم..

— زوجك يعانى من جبالة مرضية عقلية.. المرض له علاج..
والعلاج عن طريق العقاقير..

● وهل العقاقير تغير فى الشخصية؟..

— يبدو أن الأمر قد اختلط عليك.. أو لعل لم أكن واضحا فى تحليلى لظاهرة الغيرة..

هناك فرق بين المرض والشخصية.. «الغيرة المرضية» هى

اضطراب في محتوى التفكير حيث تسيطر فكرة الخيانة.. تماما مثل مريض الفصام الذي يعتقد أنه مراقب أو مضطهد.. وتلك هي الحالات التي يمكن علاجها بالعقاقير ، لأن سببها اضطراب في كيمياء المخ..

أما الشخصية التي تكون الغيرة «غير الطبيعية» إحدى سماتها البارزة، فالعلاج بالعقاقير لا يجدي معها.. هذا الانسان ليس مريضا ولكن شخصيته ذات سمات غير طبيعية.. وهذه هي إحدى مشكلات الطب النفسي.. فاضطراب الشخصية غير مصنفة مع الأمراض، وبالتالي فليس لها علاج.. ولهذا فإنني أقول ان حالة زوجك أسهل لأنها مرض.. وذلك بالرغم من أن الغيرة في الشخصية غير السوية تكاد تشابه الغيرة المرضية ، كالشك في سوء السلوك ومحاولة الحصول على أدلة واللجوء الى العنف أحيانا..

وصدقيني أن الأمر حين يصل الى الاتهام المباشر فإنه يكون في حالات كثيرة أهون من تلك النوعية التي نطلق عليها الغيرة « غير المرضية » بالرغم من تطرفها.. الزوجة في تلك النوعية تشعر دائما انها موضع شك.. يحاسبها على كل تصرفاتها.. يخنق حياتها.. يحجر على حريتها في التعاملات الطبيعية والبسيطة التي لا بد أن يتعرض لها كل انسان في نشاطه اليومي العادي.. فمحظور عليها زيارة جاريتها أو حتى زيارة أسرتها بمفردها.. محظور عليها مجرد أن تتكلم مع زميلها في العمل حتى وإن كان الأمر يتعلق بالعمل نفسه.. محظور عليها الخروج بمفردها.. محظور عليها أن تضحك أو حتى تبسم.. محظور عليها أن تبدو رأيا أو تعلق على رأي.. وإذا حدث أن تعدت حدود هذه المحظورات، فإن الموقف يشتعل الى مشاجرة توجه فيها الالهانات.. وأحيانا الاعتداء الجسدي.. كل ذلك بدون اتهام مباشر أو ظن يقيني.. بأن هناك شخصا محددا في حياتها. هذا الزوج نفسه يؤكد أن زوجته لا يرقى إليها الشك.. بل هو ذاته

حين يصقو يؤكد لها ثقته التامة فيها.. وقد يعترف - وهذا نادرا.. ان المشكلة بداخله هو.. هكذا هو.. هذه شخصيته، فهو لا يستطيع أن يقاوم مشاعر الغيرة الجامحة التي تأكل صدره ولكن المشكلة تتفاقم وتتصاعد حين يكون للزوجة بعض السلوكيات أو التصرفات التي تثير غيظه بحدّة.. ولا أقصد هنا أن يكون سلوكها غير سوى.. ولكن حينما تكون شخصيتها انبساطية، تتعامل مع الناس بسهولة وبساطة.. جريئة في تصرفاتها.. وأيضا حينما تبالغ في مظهرها..

في هذه الحالة فإن ألم الشك يعذب الزوج ويدفعه في أحيان كثيرة الى التهور الذي قد لا تحمد عقباه، وقد يؤدي الى أذى حقيقى للزوجة جسديا أو نفسيا..

هذا الزوج بالرغم من انه ليس مريضا فإنه يحتاج الى مساعدة.. فهو يعاني من اضطراب في شخصيته، أساسه اهتزاز ثقته بنفسه.. والانانية الشديدة والاحساس الدائم بالتهديد من فقدان ما يمتلكه..

وبالرغم من اننا نصف حالة غير طبيعية الا اننا يجب أن نعرف أن هذه هي مشكلة الانسان.. أى انسان.. فمن منا يشعر بالثقة المطلقة التي بغير حدود؟ من منا يشعر بالطمأنينة الكاملة في انه لن يفقد ما يمتلكه؟ من يستطيع أن يدعى انه لا يحب نفسه وأنه يؤثر غيره على نفسه؟ وكما أن الانسان المريض أو الانسان صاحب الشخصية المضطربة لديه بؤرة ضعف، بؤرة الاحساس بالانحطاط والدونية.. فإن كل انسان لديه احساس بأن عليه أن يجاهد للتغلب على ضعفه وخوفه.. ولهذا فقد يبالغ في إظهار قوته وثقته بنفسه.. وكلما بالغ، كان هذا دليلا على شدة ضعفه وخوفه..

والانسان يولد وتولد معه أحاسيس الضعف والخوف.. وهذا بعض شقائه على الأرض، فهو في حالة مقاومة مستمرة لتلك المشاعر السلبية.. ولذلك فهو في سعى دائم للحصول على القوة من خلال السلطة والمال.. والكلام عن التواضع والزهد هنا ليس له معنى.. وكل

انسان يسعى بأسلوبه الخاص وحسب قدراته وإمكانياته وبقدر ما تسمح به الظروف.. ولذا فإن تغير الظروف تغير الانسان فعلا.. والمقصود بتغير الظروف هنا أن تسنح الفرصة للانسان للتمرد على ضعفه وخوفه، فينطلق مستبدا بسلطانه أو بماله، ويمارس ضغوطه أو حتى طغيانه.. وكأنه ينتقم من فترات الضعف والخوف.. وبقدر ما كان يشعر بخوف وتهديد، بقدر ما يبالي في تخويف وتهديد الآخرين..

والعلاقة بالجنس الآخر هي أحد المحاور الأساسية التي تشكل تهديدا للانسان وتغذى خوفه.. ففشل العلاقة أو حدوث خيانة يزعزع إحساس الانسان بقيمته وجدواه وأحقيقته في الحياة والبقاء.. انها طعنة لكيانه الجنسي كذكر أو كأنثى.. والرجل يسعى الى السلطة والمال لتدعيم كيانه الجنسي الذكوري، والمرأة تسعى الى التزين والدهاء لتدعيم كيانه الجنسي الانثوي.. ومع تطور الانسان فإنه اهتم بالثقافة والفن ليسمو (يتسامى) في علاقته بالجنس الآخر، ويرتفع بها فوق مستوى الجاذبية الجنسية.. وأدخل مصطلحات الجاذبية الفكرية والروحية.. كل ذلك يفسر لنا مدى أهمية، وأيضا خطورة الغيرة في علاقة الرجل بالمرأة.. وإمكانية تحولها الى غيرة مرضية أو غيرة متطرفة غير عادية.. وهذا ما لا يحدث في الغيرة في أشياء أخرى كالمناقسة.. فقط الغيرة الجنسية هي التي من الممكن أن تأخذ أبعادا مرضية أو غير طبيعية..

قد نكتم الغيرة في صدورنا.. قد نعبر عنها بأساليب متحضرة.. قد نعبر عنها بشكل مباشر وصريح.. قد نعبر عنها بقسوة وتجريح.. وقد نعرض فنعبر عنها في صورة هذات ولالات بأن الأمر قد وقع، والخيانة قد تمت!..

أسرار
البيوت
في
العيادة
النفسية

الجزء
الثاني

أزواج
وزوجات
أمام
الطبيب
النفسى

إذا لم
يتزوجنى سأقتله



يقول انه متزوج .. وفي الواقع انه غير متزوج .!
وصحيح اننى متزوجة .. وعندى اولاد .. ولكننى سأترك
الجميع لاتزوجه..

وإذا لم يتزوجنى: سأقتله!!
انها كلمات السيدة الجامعية التى تجلس فى العيادة النفسية
لتشكو من هجر رجل لايعرفها.!

●● المريضة سيدة تبلغ من العمر ٣٥ عاماً، جامعية.. تعمل
بالتدريس.. زوجة وأم لطفلين، تواضع جمالها تعوضه جاذبية تنبع
من داخلها أكثر مما تلحظه فى ملامحها.. عيناها تلمعان ببريق
يتناسب قدرة مع المعانى التى تخرج على لسانها.. صوتها عاды
ولكنه قادر على توضيح أحاسيسها.. أنيقة فى مظهرها بقدر اناقة
كلماتها التى تكشف عن ذكاء مطعم بثقافة ووعى..

أعترف أننى لم اكتشف أنها مريضة إلا بعد نصف ساعة من
حديثها المتصل الذى لم أشأ أن أقاطعه لعمق المعانى التى كانت تعبر
عنها ورقتها، وللدفء الذى كان يشع من كلماتها المترنة المتناسقة..

●● فى نصف الساعة الأولى كانت تعبر عن عواطفها نحو إنسان
يجبها وتحبه.. قصة حب يسعد أى إنسان بسماعها لأنها تؤكد أنه
لأحدود ولأمنتهى لجحم نوع العواطف التى يكنها إنسان لإنسان
آخر.. قصة تسعد بسماعها حتى وإن لم تكن طرफا فيها، لأنك تتوحد
مع المحبوب، فتشعر أنك وضعت فى مصاف الآلهة.. فمحبوبك يراك
أجمل وأروع مافى الوجود.. يكفيه أن يكون بقربك ليحتويه ضياؤك
كما يحتوى ضوء القمر الأرض وما عليها.. فإذا ابتعدت عنه اظلمت
دنياه فصار شبحا، وأظلم داخله كالموتى..

● قالت السيدة وهى تحكى عن حبها وعن حبيبها :
هو عظيم كهزم لايمكن أن تستوعبه إذا اكتفت عيناك بالنظر أفقيا

أو تشعلت إلى أعلى.. لكى تستوعب عظمته لابد أن يميل عنقك إلى الوراء وكأنك تريد أن تقابل الشَّماء بوجهك..

● تمتلئ نفسك رهبة وإعجاباً بالنظر إليه.. ليست رهبة الخوف، ولكنه الانبهار الذى يمزج الإعجاب بالرهبة..

لست فقط منبهرة بمكانته الاجتماعية المرموقة، ولكن إنبهارى بمبعثه أيضاً صفاته.. له صوت رقيق عميق، مزج جاد.. صوت له ملمس أسمعه بجلدى فتتحول المسام إلى أذان متلهفة يبتها خنان ناعم..

● حين نتذكر إنساناً فإن صورته ترتسم فى مخيلتنا، ولكنى أتذكره بصورته.. إن صوته هو ذكاؤه وطموحه.. صوته هو عظمته.. صوته هو الذى ينقل إلى كلمات حبه..

● الكلمات لاتنبعث فقط من حنجرته، وإنما يشارك فى وضعها عيناه ووجهه ويداه.. ولهذا فأنا أستطيع أن أراه وأنا مغمضة العينتين.. أراه بلمس صوته.. ولهذا فهو لايفارقنى أبداً.. فأنا جزء منه يحتوينى بشخصه.. وبذلك لايستطيع أى إنسان أو أى ظروف أن تفصل بيننا حتى الموت.. بعد الموت سأمضى معه إلى العالم الآخر بفضل توحدى معه، وإحتوائه لى.. ومن يحتنوك يكون هو الأكبر والأقوى والأعظم والأرحب.. وهو لذلك القوي منى وأكثر عقلاً وحكمة، ولهذا فأنا بدونهُ أفقد إدراكى لذاتى.. أفقد معنى وجودى.. تنشقت نفسى ويتبعثر كيانى.. لاأكون كاملة ولاأشعر باكتمالى كأنسانة ولاأدرك وجودى إلا إذا ظلت بجانبه دائماً..

● هل تصدق انه معى فى كل لحظة وأنا أمارس أى نشاط أو أى حركة خلال يومى.. هو أول من يستقبله عقلى وإحساسى بمجرد أن أفتح غيبنى فى الصباح بعد نوم.. لأشك انه كان معى خلاله.. أتزين قبل أن أنام تهيؤاً للقاءه فى أحلامى.. أرتدى ثوباً للنوم يروقه.. أغرق

فراشى بعطر يحبه.. أمسك بكتاب تلتقى فيه معا بأفكارنا.. كل ليلة كتاب فهذا عشقنا المشترك.. ثم أبدا النوم وهو فى عيوني.. الاغنية التى نحبها أسمعها كل يوم فى سيارتى.. لأستطيع أن أبدا عملى إلا وهو جالس بجانى.. من أعمل معهم يستطيعون أن يروه بوضوح فى عيوني..

● أثور فى العمل وأهم بمعاقبة المخطيء فينظر الى لى أصفح فتهذا نفسى وأكافء المخطيء.. مشاكل كثيرة فى عملى.. كلها تهون لأنه موجود معى.. أعود من عملى مثقلة متعبة لتواجهنى مشاكل أخرى.. ولكن كل شىء احتمله لأنه موجود معى..

● أحرز نصرا أو مكسبا.. ولكن كل شىء يتضاءل بجانبه.. فهو النصر العظيم والمكسب الكبير.. هو الفرحة..

● حتى لو تعرضت لكارثة يتضاءل تأثيرها وأقول الحمد لله يكفى انه موجود فى حياتى وأنا موجودة فى حياته..

الكارثة الحقيقية أن يكون مريضا أو فى أزمة.. حينئذ تضطرب كل حياتى.. لا أستطيع أن أعمل أو أفكر أو أهتم بأى أحد.. أفقد شهيتى وأشعر بالآم فى كل جسدى.. أذبل كورقة شجرة انتزعوها من فرعها.. تتوقف حياتى كلها حتى يشفى أو تفرج أزمتة فتعود لى حياتى.. أحلم له فى أن يكون اعظم وأعظم..

هو أول من يرى أى فستان جديد ارتديه.. ثم احتفظ به لأنه صافح عيونه.. لا أعترف بأى فستان إلا إذا رآه.. فسائيتى تكتسب قيمتها وجمالها من عينيه..

لا أمل لى فى حياتى إلا أن أعيش معه بقية عمرى .. سعادتى الحقيقية معه.. وهو بدونى لا يستطيع أن يعيش سعيدا..

● ● عند هذا الحد أردت أن اتدخل فسألتها :

— وما الذى يمنع أن تكون معا .. ؟

● هو ..

— كيف وهو يحبك ؟

● إن تصرفاته متناقضة .. فبالرغم من حبه لى فهو لا يريد ان يقابلنى .. يهرب منى .. بل يحاول أن يؤذى مشاعرى ..

— هل هذا معقول وأنتما تعيشان هذا الحب الرائع ؟ ..

● هذه هى الحقيقة بكل أسف .. ولهذا جئت استشيرك ..

— تستشيرنى فى ماذا .. ؟

● ماذا أفعل معه .. كيف أجعله يعيش معى ويترك تلك السيدة التى تدعى كذبا أنها زوجته وأن لها ثلاثة اطفال منه وتعيش معه فى بيت واحد ..

— من ادراك انه ليس متزوجا .. ؟

● أنا واثقة من ذلك .. هو أعزب لم يتزوج قط .. وهو الذى يشجع هذه السيدة فى ادعائها الكاذب لكى يؤذى مشاعرى ..

— وأنت أيضا زوجة ولك اطفال !!

● سأترك كل شىء من أجله ..

— وإذا رفض ان يتزوجك ..

● سأقتله .. !!

فى هذه اللحظة أدركت أنها مريضة .. ويالها من حالة عجيبة يطلقون عليها «ذهان الحب» أو «جنون الحب» ..

● بداية لابد ان أؤكد أن عواطف هذه السيدة عميقة وتهيمن على كل قوى ومشاعر روحها منذ اللحظة الأولى .. فهى تحب حقيقة، ولكن الجزء المرضى هو اعتقادها بأنه يحبها .. فهو فى الغالب لم يرها حتى الآن .. وهى أيضا فى الغالب لم تره إلا على شاشة التليفزيون أو السينما أو ربما التقت به لقاء عابرا وربما لم يتبادلا فيه أى كلمة ..

● الحالة ليست نادرة الحدوث .. نراها من حين لآخر فى العيادة

النفسية.. والحالات التي لانراها أكثر وأكثر.. فليس كل هذه الحالات تجد طريقها إلى الطبيب النفسى إلا فى المراحل المتقدمة المتفاقمة أو إذا كان هناك مرض عقلى.. ويكون «ذهان الحب» هو أحد أعراضها بجانب أعراض عقلية أخرى..

● الحالة عادة تصيب السيدات .. لكنها قد تصيب الرجال أيضا ولكن بنسبة قليلة عن النساء.. فكرة خاطئة تسيطر عليها أن رجلا ما وقع فى غرامها.. رجلا من طبقة اجتماعية أعلى منها وله مكانة اجتماعية مرموقة.. فهو من المشاهير: رجل سياسى أو مذيع تليفزيونى أو نجم سينمائى أو كاتب مشهور.. أو شخصية عامة بارزة.. فى معظم الاحوال يكون أكبر منها سنا..

● الحالة تبدأ فجأة .. لا يوجد تدرج فى الحالة .. وانما تظهر كاملة من البداية.. وتتصور أن الرجل هو الذى وقع فى الحب أولا.. وهو الذى بدأ فى اقترابه منها.. وهى تعتقد أنه غير متزوج.. وحتى إذا كان متزوجا فانها تتكرر هذا الزواج أو تعتقد أنه زواج تمثيلى..

● تبدأ فى ارسال أول خطاب له .. خطاب يؤكد له انها تحبه مثل حبه لها.. وحين لا تتلقى اجابة ترسل خطابا ثانيا وثالثا.. وقد تستمر فى ارسال خطاب كل يوم.. ثم تلجأ إلى البرقيات.. فإذا لم يستجب تحاول انه تعبر عن عواطفها بإرسال الهدايا.. وفى البداية تكون الهدايا فى شكل ورود تصله كل يوم إلى بيته أو مكان عمله.. ثم ترسل له هدايا بكل ما تملك.. فإذا كانت حالتها المالية تسمح فإن الهدايا تكون قيمة للغاية وأيضا قد ترسل هدية كل يوم..

● ثم تبدأ أخطر مراحل الحالة وهى متابعتها.. فى البداية تختبئ لتراه وهو يغادر بيته أو عمله.. ثم تمشى خلفه دون أن يراها أو تتابعه بسيارتها.. وقد تنفرغ تماما لمراقبته فى كل مكان.. والمتابعة أيضا تكون عن طريق التليفون، فتحاول أن تتصل

به في كل مكان يتواجد فيه وفي أى ساعة من ساعات الليل والنهار..
وبذلك تنقلب حياة محبوبها إلى جحيم.. فهو يشعر أن هناك متابعة
ومراقبة في كل ساعة.. ويساوره الخوف من هذه الملاحقة العنيفة..
وبالطبع فإنه لا يجرؤ على لقائها في الأماكن التى تحددها في
خطاباتها.. وقد يزجرها في التليفون.. وهنا تأخذ مطاردتها شكلا
أعنف اعتقادا منها أنه يرفض مقابلتها، لأنه لا يريد أن يفضح عواطفه
أمام الآخرين.. تصف هى سلوكه بأنه متناقض فهو يأخذ مواقف
عكس مشاعره الحقيقية.. يهرب منها بالرغم من أنه يحبها..

●● في بعض مراحل المرض قد تقدم على تصرفات تكشف عن
اضطرابها الواضح وإنفصالها عن الواقع فتوجه الاهانات له أو
لزوجته وأولاده في التليفون أو تفاجئه بالزيارة في بيته أو مكان عمله
أو قد تلجأ لزميل له أو لرئيسه شارحة المشكلة بينهما..

كما أنه ليس مستبعدا أن تهدد باستعمال العنف ضده أو ضد
أسرته، وذلك حين يعاملها بقسوة.. فيتحول حبها إلى كراهية ورغبة في
الانتقام..

● وطبعاً تعيش الرجل الذى يتعرض لمثل هذا الموقف.. فقد
تستطيع هى أن تقنع الآخرين بأنه هو الذى بدأ بحبها حتى وقعت في
حبه، ثم هو الآن يتهرب منها..

والتصرفات غير المسئولة التى قد تصدر عنها لاحتود لها.. فقد
تركب طائرة لتذهب خلفه إلى أى مكان.. وقد تحاول أن تعمل في المكان
الذى يعمل فيه.. وقد تنتقل لتسكن بجواره.. وقد تكتب للصحف أو
للمسؤولين شكاية موقفه منها.. أو قد تظن تباطؤه في الانتقال للحياة
معها بسبب ضائقته المادية فترسل له مبلغا كبيرا من المال أو تذهب
إلى محام لتتنازل عن كل ممتلكاتها له..

هذه التصرفات غير المسئولية تصدر عادة إذا كان «ذهان الحب»

يشكل عرضا لمرض عقلي آخر كالبارانويا أو الفصام الاضطهادى..
أما إذا كان «ذهان الحب» موجودا بشكل مستقل، فإن شخصيتها
تكون متماسكة.. ولا يبدو عليها أى اضطراب.. ولاجرؤ أحد أن يشك
في قواها العقلية، فهي تبدو طبيعية في كل شيء ما عدا هذه الفكرة
التي تسيطر عليها..

● وهو ليس حبا رومانسيا خالصا.. ولكن تكون هناك رغبة في
إقامة علاقة جنسية.. وفي هذه الحالة يجب ان نفرق بين «ذهان الحب»
و«الهوس الجنسى».. في «ذهان الحب» يكون هناك الاعتقاد الخاطيء
بوجود حب متبادل من الطرفين.. أما في «الهوس الجنسى» فلا يوجد
الارغبة مستمرة لاتقاوم في الممارسة الجنسية غير المسئولة في أى
وقت ومع أى انسان وفي أى مكان بدون وعى يفرض الحرص
والحيطة.

● كما يجب التفرقة بين «ذهان الحب» و«الاعجاب».. في حالة
الاعجاب قد يكون من طرف واحد مع الوعي الكامل عند هذا الطرف
أن الطرف الآخر لا يبادل نفس الاعجاب، وحتى إذا كان الاعجاب
متبادلا فإن كل طرف يدرك ويعى حدود العلاقة.. ويتصرف بناء على
موقف ومدى استجابة الطرف الآخر..

في حالة الاعجاب قد يقول طرف انه يعتقد ان الطرف الآخر يبادل
نفس الاعجاب ولكنه غير متأكد.. وهذا يعنى إرتباطه بالواقع.. ولذلك
فإن سلوكه يكون طبيعيا ولا يقتحم حياة الطرف الآخر أو يطارده،
ولكن ربما يحاول أن يتقرب منه بأسلوب اجتماعى لائق.. وإذا وجد
عدم تجاوب من الطرف الآخر فإنه يبتعد في سلام:

وأیضا يجب التفرقة بين «ذهان الحب» و«الحب الحقيقى»..
في الحب الحقيقى يحكى الصوتان معا قصة الحب.. وإذا سمعت
أحد الصوتين فإن صداه يكون مطابقا للصوت الثانى.. هذا ماتعنيه

كلمة «حقيقى».. إنه سيمفونية انغامها/تصدر من أوتار قلبين وعقلين رغم انفصالهما الشكلى.. فان المعانى التى تصدر عنهما تكون متطابقة فلا تسمع «نشان» فى سيمفونية الحب..

وهذا ماتعنيه كلمة «التوحد» أو كلمة «الذويان» فى الحب.. فبالرغم من أن طرفى «الحب الحقيقى» يحتفظ كل منهما بكيانه المستقل، إلا أن امتزاجا قد حدث بين «فكرين» وبين «وجدانين» يحقق لهما معا وعيا وشعورا بأن كلا منهما متصل بالآخر.. اتصالا يحقق الفرحة والسعادة والطمأنينة.. وتكون هناك حالة رضى من كل طرف عن هذا الاتصال..

● لماذا تصاب انسانة بحالة «هوس الحب»؟؟

● لماذا تتوهم ان انسانا قد وقع فى حبها وأنها أيضا تحبه..؟

● لماذا تعيش قصة حب وهمية تعتقد انها حقيقية؟

● إذا تعمقنا فى نوعية الانسان الذى تختاره، فاننا سنجد أنه يكبرها سنا، ثم انه يمثل قيمة اجتماعية مرموقة ومعترفا بها تحظى بالاعجاب والتقدير.. إنها صورة تكاد تقترب من صورة الأب.. الذى نعجب به جميعا فى طفولتنا وانتصوره أحسن الناس وأقواهم.. الأب الذى يمثل لنا الحماية وتلبية كل مانحتاج.. وهو أيضا الأب الذى كبت كل غرائزنا البدائية، وخاصة قيما يتعلق بموضوع الجنس.. جعلنا نكبتها بالإرهاب والتجاهل، فأصبح لنا تصور فظيع عنها.. ولكن هناك دائما الرغبة فى الحصول على ارضاء لغرائزنا، هذه الرغبة كان يصاحبها الخوف والأحاساس بتأنيب الضمير.. ولهذا كانت مشاعرنا تجاه الأب متناقضة بين : الحب والخوف..

وكانها تقول :

هذا هو حبيبى (أبى) .. حبيبى (أبى) ذلك الرجل العظيم القوى.. ذلك الرجل (أبى) يحبنى .. ليس هذا فقط بل إنه يرغبنى

جنسيا .. وهنا تتخلص المريضة من مشاعر الخوف والإحساس بالذنب .. تتخلص من مشاعر الحب والكرامية تجاه أبيها .. ذلك الرجل (الذى يمثل أباهها لاشعوريا) هو الذى بدأ معها .. هو الذى رغبها عاطفيا وجنسيا .. لم تكن هى البادئة .. بل هو البادئ .. لولا أنه هو الذى فكر فيها جنسيا لما فكرت فيه هى على هذا النحو ..

أى أن أبى الذى أخافنى وجعلنى اكبت غرائزى العاطفية والجنسية رغم رغبتي .. هذا هو اليوم يعرض على الحب والجنس .
● يمكن أن نرى المشكلة من زاوية أخرى .. أيضا زاوية أعمق موجودة على مستوى العقل الباطن .. المشكلة أساسها الحب المفرط للذات .. الحب الذى يعوق إقامة علاقة حب مع أى إنسان آخر .. ولأن هذا غير مقبول .. فإن هذا الحب للذات لا بد من إنكاره أو إسقاطه على شخص آخر .. شخص له أهمية .. شخص أكثر منها عقلا وحكمة .. هذا الشخص يحبها بدلا من أن تحب هى ذاتها أى هو يمثل حبها لذاتها .. ولذا فهى تطارده لكى يثبت ذلك لها .. إذا أظهر العكس فهذا يحطمها .. إنه يكشفها على حقيقتها .. يكشف حبها لذاتها .

عالم النفس فرويد له رأى آخر .. هو يرى أن « زهان الحب » هو أسلوب دفاعى عن رغبة لا شعورية فى نفس الجنس .
هى ترغب فى نفس الجنس ولا ترغب فى الرجال .. ولذلك يجب أن تنفى هذا من خلال علاقة عاطفية جنسية بطرف من الجنس الآخر ، وبذلك تشعر أنها سوية .

وكأنها تقول .. هذا الرجل يحبنى .. هذا معناه أنه لا يرانى كشاذة .. إنه يرانى طبيعية ولا لما رغب فى .. وأنا كذلك أحبه .. وهذا يؤكد ميولى الطبيعية .

● ولهذا فهى قد اختارت رجلا يشابه أباه .. رجلا مثل مثاليته .. وفى نفس الوقت استطاعت أن تسقط عليه عواطفها ورغباتها الجنسية المكبوتة ..

والمعادلة الفرويدية تقرأ كآلاتى كما تنطقها المريضة.
أنا أحب الأنثى لا .. أنا لا أحب الأنثى، بل أنا أحب هذا الرجل لأنه
يحبنى..

وبذلك تستطيع أن تتخلص من مشاعر الجنسية المثلية وأحلت
محلها مشاعر طبيعية تجاه رجل أحبها فاحبته..

● أى التفسيرات نصدق .. ؟ هل اعتقادنا فى احدى التفسيرات
يلغى الباقي..؟ أم أن لكل حالة ظروفها الخاصة التى تنطبق عليها أى
من هذه التفسيرات..

● أم ان كل هذه التفسيرات خاطئة.. وان «ذهان الحب» يحدث
نتيجة لاضطراب كيميائى فى المخ، مثل بقية الأمراض العقلية التى
أصبحنا نعرف الآن أسبابها الكيميائية فى المخ.. وبذلك أصبحنا اقدر
على معالجتها بالعقاقير..
العلم عند الله ..



أسرار
البيوت
في
العبادة
النفسية

الجزء
الثاني

نيران تذيب ثلوج
الحياة الزوجية

أزواج
وزوجات
أمام
الطبيب
النفسى

خسرت كل شيء في حياتي بسبب القمار
أعرف كل ذلك جيداً ..

ومع ذلك فإننى — بدون وعى — لن أتوقف عن المقامرة.. حتى
أموت..

لقد حاولت كثيراً الهرب من هذا السراب الذى أجرى وراءه..
وكانت آخر محاولة لى للتخلص من ضعفى أمام القمار هى
زيارة الطبيب النفسى!
● جاءت به زوجته إلى العيادة النفسية.

متوسطة العمر.. جمالها اطفأه الشقاء والمعاناة.. سيطر على
ملامحها التحفز والغضب.. أما وجهه فكان يعكس الانقياد لها
والاستسلام.. لاعتن ضعف. ولكن ربما لإحساسه بالذنب تجاهها أو
لحيرته فى أمر نفسه فجاء مسلماً لها نفسه طلباً للمساعدة.

وبدون أن أدعو أيهما للحديث، بدأت هى بصوت متحفز غاضب:
— لابد أن تجد لنا حلاً.. لقد حل بنا الخراب وسيضيع مستقبل
أولادى.. فقدنا كل أموالنا، وسنفقد عن قريب سمعتنا، إذا زجوا به فى
السجن.. يقول متحججاً أنه لا يستطيع أن يقاوم.. شىء خارج عن
إرادته.. يشعر أنه مريض.. فهل هو مريض حقاً؟.. أم سيطرت عليه
شياطين الضلالة فأنحرف..

صمتت فجأة ورمقته بنظرة تدعوه بها لبدء الحديث.. ورغم أنه
كان مطرقاً برأسه فلم يستقبل نظراتها، إلا أنه فهم ما أرادت وحرك
شفتيه بكلمات لم أسمعها.. وأدركت استحالة أن يتكلم فى وجودها..
فطلبت منها أن تتركنا فأبت.. وإزاء إصرارى الذى حمل تهديداً خفياً
باعتذارى عن استمرار المواجهة غادرت الحجرة أكثر غضباً وتحفزاً..



يقول المقامر :

حين أجلس إلى منضدة اللعب لا توجد قوة على الأرض تستطيع ان تنتزعنى من مقعدى.. شىء واحد هو ان افقد كل نقودى.. بعدها تسترخى أعصابى وتهدأ نفسى وتخمد نار متأججة فى صدرى.. حينئذ يسبح جسدى بتلذذ فى عرقه البارد.. بعض المتعاطفين ينظرون إلى بأسف لخسارتي الفادحة وأنا أنظر إلى نفسى بتشف يبعث على الارتياح، وكأنتى ألقيت بحمل ثقيل كان متمركزا فى منتصف رأسى.. كل أنواع المخدرات والمهدئات ومضادات الكآبة فشلت ان تمنحنى مثل هذا الشعور..

تبدأ الرحلة منذ الصباح وأنا فى طريقى إلى عملى.. ومضات خاطفة تلهب خيالى بسهرة الليلة وأنا جالس إلى منضدة القمار.. وأنا ممسك بالأوراق.. وأنا أتطلع فى قلق إلى عيون خصمى..

أحاول أن أبعد ذهنى عن التصور.. تقوى إرادتى الواهية فأصمم كاذبا أنى لن أذهب الليلة.. وحين أصل إلى قرارى هذا يداهمنى الحنين الجارف فأقرر الذهاب.. وهكذا أظل طوال يومى متأرجحا.. أذهب.. لا أذهب.. أذهب.. لا أذهب.. حين أقرر ألا أذهب يصعد الاكتئاب من صدرى إلى عنقى فأشعر بالاختناق.. حين أقرر أن أذهب ترتخى عضلاتى فأتنفس بهدوء ويرقص داخلى مبتهجا.. وحين تجىء اللحظة المنشودة أستعد للخروج من المنزل.. أشعر حينئذ كأننى منوم، وان إرادتى فقدتها تماما.. لقد فشلت كل محاولات المقاومة، فأشعر بالخوف.. إنه خوف المدمن الذى يدرك أنه فقد بسيطرته تماما واستسلم للمخدر..

المكان محصن إحتسابا لهجوم مفاجىء.. الهواء لا يتجدد، فالنوافذ محكمة الاغلاق مختفية خلف ستائر كثيفة.. كثافة الدخان تؤثر على درجة الرؤية.. والجميع تعودوا ان يكونوا عمليين.. كل قادم يدخل فورا إلى مكانه المعتاد ويبدأ مباشرة فى الانضمام إلى اللاعبين.. دقائق

وأنسى كل شيء عن مقاومتي الفاشلة واستلامى الضعيف..
تعتبرنى حيوية لأعهد لها إلا فى هذا المكان.. وتدرجياً يتصاعد
إحساسى بقلق مثير، وأمسك بالأوراق فى يدى فأنفصل تماماً عن
العالم، وينحصر مجال الرؤية لعينى فى يدى الممسكتين بأوراق اللعب
وساحة الملعب ووجوه خصومى.. بل إن وجدانى وتفكيرى لا يخرجان
ولو لثانية عن هذه المساحة.. قمة التركيز للحواس والأحاسيس..

وكل لحظة تحمل إثارة تشد الأعصاب وتحدث اضطراباً فى حركة
التنفس.. لحظة توزيع الأوراق.. لحظة إلقاط الأوراق ثم النظر فيها
بلهفة لمعرفة مدى قوتها.. لحظة النظر فى عيون من يحيطون
بالمضدة فرداً فرداً لاكتشاف نوعية أوراق كل منهم من عينيه
وملامح وجهه.. والكل قد تدرب أن يظهر عكس الحقيقة.. فالذى
خاب أمله فى أوراقه يظهر سعادة زائفة.. والذى جامله الحظ يظهر
بروداً.. وقد يبالغ فيظهر أسفاً.. عليك حينئذ أن تنفذ إلى الحقيقة.. أن
تتوقع.. أن تخمن.. ولا أحد يعرف ماذا سيحدث فى اللحظة التالية..
هناك مفاجأة فى كل لحظة.. يصدق توقعى فانتشى.. يخيب توقعى
فتهبط معنوياتى.. يسوء موقفى فأقلق.. يسوء موقف الآخرين
فأشعر بالقوة والثقة.. لحظة تمر فأفقد الأمل فى المكسب هذه المرة..
لحظة أخرى تمر تحمل أملاً فى انتصارى.. أنتصر فأشعر بلذة عارمة
لا تمر بى إلا فى هذا الموقف.. أشعر بقامتى تعلو وعضلاتى تنتفخ..
أشعر كأننى ملك هذه المضدة.. ويتضاءل فى عيني كل الجالسين
حولى.. تزيد لذتى حين ألحظ الحسرة فى عيونهم.. يسعدنى حسدهم
لى.. ومن قلب نشوتى بالانتصار يبرز قلقى من الدور القادم
المجهول.. فهناك احتمال الفشل فى المرة القادمة.. انتصارك مرة
لا يعنى انتصارك المؤكد فى المرة التالية.. لاشئ مؤكد.. لاشئ ثابت..
كالهدف المتحرك الذى تصوب ناحيته وأنت مغمض العينين.. قد

تصيبه دون أن تقصد .. وقد تخطئه دون أن يكون لك ذنب في ذلك..

و حين أخسر وينخفض رصيدى أشعر بنار الغيظ تتأجج يغذيها قلقي وتوترى.. تسرع دقات قلبي.. ويزداد تلهفى لبداية دورة جديدة.. وأخسر مرة ثانية وثالثة.. ويزداد تلهفى إلى مزيد من اللعب.. تمضى ساعات أظل ملتصقاً بمقعدي بفعل قوة مغناطيسية من الصعب الخروج من مجالها..

أعود لأكسب جولة .. ثم أخسر جولة .. وأستمر ويستمررون.. مربوطون جميعاً بحزام واحد لايسمح بالخروج من أسره الا من أجهز على آخر نقوده.. لا أهدأ.. لا أستريح.. لا أتوقف عن اللعب إلا بعد ان ينتهى كل مامعى من مال.. وأخرج من الدائرة حيث لا مكان لى الآن.. ولا أذكر أنني فى أى مرة شعرت بالأسى على مالى المفقود وكأننى كنت ألعب بأوراق مالية مزيفة أو كأننى كنت ألعب بأموال شخص آخر لايهمنى هو أو ماله.. كان هذه النقود لم تكن تخصنى.. من يرانى يشعر أننى حزين لخسارتي.. ولكن أحاسيسى الداخلية تكون شيئاً مختلفاً تماماً. إذن لماذا جئت إلى هذا المكان؟ لو كان هدفي هو المكسب لشعرت بالحزن لخسارتي.. وأيضاً ليس من المعقول أننى أجيء لأخسر أى يكون هدفي ومطلبي هو الخسارة..

صدقنى اننى لا أعرف لماذا أقامر؟.. كل الذى أستطيع أن أقوله لك انها رغبة مسيطرة.. رغبة تهزمنى.. أشعر بالخوف لإحساسى بفقد السيطرة ولكنى أذهب دون وعى.. أظل ألعب حتى أخسر.. بعدها أشعر بارتياح غامض.. أشعر اننى تخلصت من أثقال ناء بها جسدى.. أدخل منزلى كاللص الذى يفرض الا يشعر به أحد..

موقفى المادى أصبح حرجاً للغاية.. زوجتى تهدد بطلب الطلاق.. ورغم كل ذلك فإننى لا أستطيع أن أقاوم.. أشعر أن حياتى ستفقد كل

معنى لها إذا توقفت عن اللعب.. فهل لديك ماتقدمه لى ياطبيب؟



●● هل يمكن ان نتراهن أنا وأنت على تخمين الاتجاه الذى ستغيب منه الشمس اليوم أو الذى ستظهر منه صباح الغد؟.. طبعاً غير معقول.. وإذا حاولنا ستكون لعبة سخيصة بلا معنى تنتهى بأن نسخر من أنفسنا ويشعر كل منا بالملل تجاه آخر.. وسوف تعطينى ظهرك وأعطيك ظهرى..

ولكننا نستطيع ان نذهب الممل عن أنفسنا إذا حاولنا فى لعبة أخرى.. سأخفى قطعة من النقود فى إحدى يدي ثم أطبق كلتا يدي وأطلب منك أن تخمن فى أى يد تختبئ قطعة النقود.. إذا لم تعرف عليك ان تدفع لى.. وإذا عرفت على ان ادفع لك.. تصور موقفك فى هذه اللعبة.. إنها لعبة لا تحتاج إلى تفكير أو حسابات ما لا تحتاج إلى أى مهارة.. كلتا يدي مطبقتان وتختفى فى إحدهما قطعة النقود.. إذن الموقف برمته مجهول بالنسبة لك.. وإذا اخترت إحدى اليدين فهذا مجرد تخمين منك غير قائم على أى أساس.. إختيارك لإحدى اليدين هو إختيار عشوائى..

وأنت تختار سوف تشعر بالتردد.. قد تقرر ان تختار اليد اليمنى.. ثم تراجع لثوان وتقول لنفسك: قد تكون اليد اليسرى.. هنا تشعر بالقلق.. وإذا صح إختيارك سوف تشعر بفرحة كبرى لأن تخمينك صدق.. لقد أصبت الهدف المتحرك وأنت معصوب العينين.. إنها لذة تفوق الذى يصوب ناحية هدف ثابت وهو حاد النظر.. لقد عثرت على القطة السوداء فى الحجرة المظلمة وأنت معصوب العينين.. إنه الانتصار على المجهول.. المجهول الذى يخيفنا.. المجهول الذى لانعرف عنه شيئاً.. المجهول الذى لانعرف ماذا يخبئ لنا.. المجهول الذى يؤكد جهلنا وعجزنا..

الانسان دائما يعشق توقع نتائج من أحداث عشوائية وهو على استعداد أحيانا أن يخاطر بأمواله وحتى بحياته من أجل أن يتوقع شيئا وأن يكون توقعه صحيحا.. وفي ذلك الانتصار على القلق.. قلق التحرك في غرفة مظلمة معصوب العينين.. وفرحة العثوث على القطة السوداء.. وهذه الحجرة المظلمة ندخلها بإرادتنا.. والعصابة نضعها على أعيننا بأيدينا.. أى اننا نخاطر..

● نخاطر لأن هذا عشق الإنسان ليثبت أنه قادر على سبر أغوار المجهول.. قادر على توقع نتائج صحيحة من خلال أحداث عشوائية.

● نخاطر من أجل كسر جبال الملل الجاثم فوق نفوسنا.. الإثارة تأتي من محاولة التوقع رغم عشوائية الموقف..

● نخاطر لكى نذيب الاكتئاب المسيطر على نفوسنا، فالاككتاب موت وركود.. الاكتئاب كتلاجة الموتى تحتوى الانسان وهو حى.. ولاسبيل للهروب منها الا بلحظات إثارة تكون كالنار التى تتراجع أمامها الثلوج..

● نخاطر.. فإذا فشلنا نشعر بشفاء نفوسنا التى يعذبها الاحساس بالندم لذنب إقترفناه..

وهكذا القمار يا صاحبي :، فهو اتفاق بين شخصين أو أكثر.. وينتقل المال من واحد إلى الآخر.. فمكسب إنسان يكون على حساب خسارة إنسان آخر.. ونتائج اللعبة تعتمد على المخاطرة. في موقف غير مؤكد.. أى أن النتائج غير معروفة.. هذه الرغبة غير مفهومة.. ولكن في كل الأحوال الحصول على المال ليس هو الهدف..

أقرأ لك سطورا من الدراسة التى قام بها عالم النفس الشهير فرويد عن الكاتب المبدع ديستوفسكى.. كتب فرويد يصف ديستوفسكى: «كان هدفه الأساسى اللعب فقط.. لم تكن هناك أى رغبة أو طمع في المال.. لم يكن ليهدأ أو يستريح أو يتوقف عن اللعب

حتى يفقد كل مألديه من مال.. كان القمار بالنسبة له عقابا للذات.. بمجرد أن يستريح ويتخلص من الاحساس بالذنب ويشعر أنه عاقب نفسه بما فيه الكفاية.. حينئذ فقط يستطيع ان ينتج ويبدع..»

القمار عرض وليس مرضا.. قد يكون عرضا لمرض الاكتئاب.. محاولة لبعث الحرارة في ثلاجة الموتى التى تحتوى نفسه.. محاولة لبعث الحركة في مجرى دمائه الراكدة.. محاولة لإثارة عاصفة تمحو بعض الأسن الذى غطى روحه.. المقامرة بالنقود وليس من أجل النقود.. ولابد من الخسارة لأنها بديل الانتحار.. ولعلاج إلا بعد علاج الاكتئاب..

وقد يكون القمار عرضا في مرض الهوس.. والهوس عكس الاكتئاب تماما.. حيث الفرحة العارمة الزائفة والنشاط والحماس والاندفاع والانفصال عن الواقع وعدم إدراك العواقب.. مريض الهوس قد يبعثر نقوده في الشارع بلا وعى وأيضا يبعثرها بلا وعى على مائدة القمار.

وقد يغرق الإنسان نفسه على مائدة القمار للهروب من الضغوط والمشاكل التى تحاصره.. ضغوط من كل جانب ومشاكل بلا حلول.. بعضها مشاكل عاطفية.. بعضها مشاكل زوجية والمقامرة هنا تكون وسيلة لمعاقبة الطرف الآخر..

والقمار قد يكون رغبة قهرية.. شيئا يشبه مرض الوسواس القهرى حين تسيطر على الانسان فكرة أو رغبة اندفاعية لا يستطيع ان يقاومها.. رغبة قهرية وحنين إلى اللعب مع الشعور بالخوف لأنه فقد السيطرة.. ويظل يلعب حتى يفقد ماله أو يتعرض للسجن.. وهنا تزيد الرغبة العارمة.. هذا النوع هو الذى يسبب أكثر المشاكل الاقتصادية والاجتماعية.. وإذا كان يشغل منصبا حساسا يظل يلعب لسنوات دون أن يكتشف أحد أمره..

والقمار أحيانا يكون وسيلة لعقاب الذات.. إنه الاحساس بالذنب المسيطر في حالة الاكتئاب بالرغم من عدم وجود أعراض اكتئابية واضحة..

وقد يكون فترة عابرة في حياة الانسان تحت تأثير الاصدقاء.. المقامرة هنا تكون غير منتظمة.. ويمكن مقاومتها.. ويمكن ان يتوقف نهائيا إذا وجد مساندة ومساعدة من المحيطين الذين يهتمهم أمره عن حب.. القمار إذن ليس مرضا.. ولكنه سلوك مرضى لمعالجة مرض آخر أو معاناة..

بعض الحالات تحتاج إلى علاج طبي نفسى..

بعض الحالات الأخرى تحتاج إلى الحب.. الحب من إنسان مخلص يحرص عليه ليتشمله برفق وليس بغضب.



خرجت من حجرتى لأنادى زوجته كى تشاركنا الحوار ولنتفق على خطة العلاج. فوجدتها قد غادرت العيادة.. حينئذ أدركت مصدر معاناة مريضى.

أسرار
البيوت
في
العيادة
النفسية

الجزء
الثاني



الكل يقول : إنه زوجي
وأنا أقول : إنه رجل غريب !

أزواج
وزوجات
أمام
الطبيب
النفسى

ليست نكتة .. ولا حكاية للتسلية..

كل عائلتي تتعجب وتتألم عندما أصرخ وأقول : هذا الرجل ليس زوجي !

وهم جميعا يؤكدون : انه زوجي الذى أعيش معه من سنوات!
هل من المعقول أن أعيش مع رجل آخر غير زوجي المسافر لأن أهلي يريدون ذلك ؟

في العيادة النفسية أحاول إنقاذ حياتي من هذا الكابوس .
أحضروني إليك ليثبتوا أنى مريضة.. ولكن عقلى سليم تماما..
وسوف تكشف ذلك بنفسك.. أجبروني على الحضور هنا.. اعتقادا منهم أنى أهذى.. هكذا تعتقد أمى بإيحاء من هذا الرجل الذى يدعى أنه زوجي.. المصيبة أن أمى تصدقه.. ولكنى أقسم لك أنه ليس زوجي حقيقة أنه يشبهه تماما.. صورة طبق الأصل.. تطابق كامل بينه وبين زوجي.. ولكنه ليس زوجي.. لقد انتحل دور زوجي وهو يؤدي دوره باتقان لدرجة أنه أفنق الجميع.. ولكنه لم يستطع أن يخدعنى.. سافر زوجي الحقيقى فى عمل.. وفوجئت بهذا الرجل يعود ليقول لى أنه زوجي.. يريد أن يمارس كل حقوقه معى.. ولكن هذا مستحيل.. مستحيل أن أعيش معه فى بيت واحد.. سأذهب إلى أى مكان فى انتظار عودة زوجي الحقيقى..

بمجرد أن رأيته أدركت أنه ليس هو.. استطاع أن يخدع عيني لشوان محدودة.. ولكن سرعان ما أكتشفته أحاسيسى الحقيقية..
ولعلك توافقنى يا طبيب أن الإدراك الحقيقى الصادق يكون بالمشاعر وليس بالعينين.

العين ترى فقط الصورة.. والصورة يمكن تقليدها.. يمكن تزويرها.. وهذا هو ما فعله هذا الرجل.. لقد غير فى شكله فأصبحت صورته للعين مطابقة لصورة زوجي.. غير فى صوته أيضا فأصبح

يتكلم مثل زوجى يقلد حركاته وطريقة مشيه وطريقة كلامه.. لعله راقب زوجى طويلا أو لعله أحد أصدقائه ويعرفه حق المعرفة.. ولذلك كان من السهل عليه تقليده.. استطاع أن يخدع الجميع لأنهم استقبلوه بعيونهم.. أما أنا فمشاعرى اكتشفت الحقيقة.. وذلك لأننى أحب زوجى.. وحين تحب.. فأنت ترى بمشاعرك.. وهذا هو معنى الحب يا سيدى.. حالة وجدانية يتحقق فيها ذوبان مشاعرك بمشاعر من تحب.. تظلى الأجساد كما هى.. متباعدة.. وقد تفصلها أحيانا آلاف الأميال ولكنك تظل على اتصال بحبيبك.. تظل ملتصقا به كل الوقت.. تظل معه ويظل معك.. فإذا سألت نفسك كيف يتحقق هذا الالتصاق والأجساد متباعدة..؟ تجيء الإجابة هنا لتؤكد معنى الحب وهو أن امتزاجا حقيقيا يحدث وينتهى الأمر، ليتكون كيان واحد من كيانين.. إنه حالة من التوحد تحدث بين رجل وامرأة.. أى بين اثنين من البشر.. والتوحد بين مشاعرهما، ولكن يظل كل منهما محتفظا بكيانه المادى الجسدى.. إذن الجسد لا يؤدي أى دور فى عملية الحب.. فالجسد بالنسبة للإنسان لا يخدم معنى الإنسان.. حدود الإنسان أكبر من حدود الجسد.. الإنسان طاقات فكرية وجدانية.. الإنسان فى حد ذاته معنى، وتجىء حياته على الأرض لتؤكد معنى، والمعنى الخالد هو الحب.. ويجىء حب إنسان لإنسان تأكيداً للمعنى.. معناه كإنسان.. ومعنى حياته فى الدنيا..

ورغبة الحبيين فى التلاقى بأجسادهما إنما هى محاولة لربط جسدهما بمشاعرهما.. فالمشاعر متوحدة ممتزجة فلنكن الأجساد كذلك.. ويقول لسان حال كل حبيب فى تلك اللحظات.. فليبنى جسدى فى جسدك.. تملأ كما فנית روخى فى روحك.. إنها حالة من القلق لتحقيق الامتزاج الكامل جسيدا مثلما تحقق روحا..
وكان كلا منهما يأبى على جسده.. أن يكون منفصلا مبتعدا عن

جسد حبيبه.. ولذلك فإن رغبة اللقاء هنا لا تكون رغبة جنسية ولكنها رغبة لتحقيق سعادة للوجدان.

●● قبل سفر زوجي كنت ألع عليه أن يبقى بجوارى كل الوقت.. أن يتلاقى جسداً كل يوم.. كنت أتمنى أن يتحقق الذوبان لجسدى كما تحقق لوجدانى.. وكنت أريد أن أشعر برغبة جسده فى الذوبان ليؤكد لى ذوبان وجدانه.. وحين سافر حبيبي فإنه سافر بجسده.. أما وجدانه فمعى.. فى داخلى.. ولهذا لم يستطع هذا الرجل الغريب أن يخدعنى بهيئته.. اكتشفت مشاعرى تزويره.. ولهذا تأكد لعينى أنه رجل مختلف يؤدى دور زوجى مستغلاً التوافق فى الشبه.. تماماً كالممثل الذى يطلقون عليه «الدوبلير» الذى ينوب عن الممثل الحقيقى بأن يقوم هو بتأدية دوره.

سيؤكد لك هو أنه زوجى الحقيقى.. أمى ستقنعك بذلك.. سيطلبون منك أن تعالجنى.. ولكن أنا لست مريضة.. أنا واعية ومدركة تماماً لكل شئ من حولى.. أذهب إلى عملى كل يوم وأتحمل مسؤولياتى كاملة.. لم يشك منى أحد.. تصرفاتى كلها سليمة ومتزنة.. أسأل كل الناس عنى.. أطلب مساعدتك فى أن تخلصنى من هذا الرجل.. هل يرضيك أن أعاشر رجلاً غير زوجى ؟!

لقد عاملته أسوأ معاملة.. فى كل دقيقة أؤكد له أنني أكرهه.. أنني أحتقره.. أنني أرفضه.. حاولت طرده من بيتى ولكنه تشبث بالبقاء لأن الكل يعتبرونه الزوج الحقيقى.. حتى البواب يعامله على أنه صاحب البيت.

حاولت أن أهرب أنا ولكن أمى منعتنى إذا لم يبتعد عنى سأشكوه للبوليس ليكتشفوا تزويره.. وإذا لم يصدقنى أحد.. إذا لم ينقذنى أحد منه فليس أمامى سبيل إلا أن أقتل نفسى.

●● لا شك أن هذه السيدة تعاني.. تعاني لأن رجلاً غريباً يأخذ

مكان زوجها.. قمت بالكشف على قواها العقلية.. فوجدت أنها سليمة فيما عدا شيئاً واحداً.. وهو أنها تعاني اضطراباً واضحاً في محتوى تفكيرها.. فكرة خاطئة تسيطر عليها وتؤمن بها إيماناً راسخاً غير قابلة للتعديل وهي أن زوجها قد استبدل برجل آخر.

قابلت الأم.. لجزعها وألمها من أجل ابنتها لم أستطع الحصول على أى معلومات منها إلا أن ابنتها أصيبت بحالة اكتئاب منذ خمسة عشر عاماً بعد وفاة أبيها.. فامتنعت عن الطعام والكلام وهزلت.. وفي هذه الفترة اتهمتها أنها ليست أمها.. وانها سيدة غريبة تريد أن تحتل مكان أمها.. ولكن الحالة لم تستمر طويلاً بعد علاج قصير وعادت إلى حالتها الطبيعية.

قابلت الزوج.. فى الخامسة والأربعين من عمره.. يكبرها بخمس سنوات قلق على زوجته كان مصحوباً ببعض مشاعر الذنب.. فلقد أساء معاملتها فى العام السابق على مرضها.

كان دائم الانشغال عنها بعمله الذى كان يقتضى سفره لفترات طويلة.. وصفها بأنها كانت حساسة وغيرة سريعة الانفعال، تصيبها حالة من الكآبة البسيطة لمدة أسبوع كل شهر قبل الدورة الشهرية.

فى العام الأخير كثرت خلافاتهما واعترف بأنه سئم الحياة معها لعصبيتها الشديدة. وغيرتها المزجة التى وصلت فى الفترة الأخيرة إلى حد اعتقادها بأنه متزوج من سيدة أخرى.. وفى الشهر السابق على مرضها كانت تصر على أن يبقى معها لأنها تشعر بالخوف.. وكانت تطلب منه — على غير عاداتها — أن يلتقى بها فى الفراش.. وأزعجته جراتها وكان فى معظم الأحوال لا يلبى رغبتها.. وسافر لعمل وعاد بعد عشرة أيام ليجدها تصرخ فى وجهه بأنه ليس زوجها الحقيقى.. بل هو شخص آخر يأخذ مكان زوجها.

●● مرض أم عرض ..؟ أى هل هذه الحالة مرض مستقل بذاته دون وجود أعراض أخرى أم هى أحد المظاهر لمرض آخر..؟

من النادر أن تكون حالة مستقلة.. وفي الغالب نرى أعراض مرض الاكتئاب ومرض الفصام.. أكثر في النساء .. ولكنها قد تصيب الرجال أيضا.. وهى تسمى حالة «كايجراس» أو «هذاء الثنائية».

●● مريض الاكتئاب يعتقد أن أطفاله قد استبدلوا وأن هؤلاء الأطفال الذين يعيشون معه الآن ليسوا أطفاله الحقيقيين.

●● الشاب المصاب بالفصام يؤكد أنه لا يعيش حاليا مع والديه الحقيقيين.. وإنما هذان الشخصان يحتلان مكان والديه.. ولهذا فهو يرفض التعامل معهما..

●● والسيدة المتقدمة في العمر والتي أصابها الفصام أخيرا.. تؤكد أن الرجل الذى يعيش معها الآن ليس زوجها وإنما هو رجل غريب يأخذ مكان زوجها..

يظهر هذا العرض مع بداية المرض أو أثناء تطوره.. والشخص المتهم يكون أحد الأقرباء كالزوج أو الوالدين أو الأبناء أو الأشقاء.. الشخص المتهم هو صورة طبق الأصل من الشخص الحقيقى، ولكنه ليس هو.. يقر المريض هذه الحقيقة وهو في كامل وعيه وانتباهه.. أى لا يوجد أى اضطراب في حواسه ولا يوجد أى تشوش في الوعي.. والإدراك هنا سليم تماما.. ولكن المريض يعانى من اضطراب في وجدانه أسقطه على تفكيره فتكون لديه الاعتقاد الخاطيء بأن شخصا قد حل محل شخص آخر وأنه بالرغم من تطابقهما الشكل إلا أن عواطفه تدرك الحقيقة..

إذن هناك انفصال عن الواقع.. هناك خلل أصاب هذا الواقع.. إدراك المريض لهذا الواقع اختلف عن إدراك المحيطين به.. ماذا تقول هذه السيدة لزوجها الذى تعتقد أنه ليس زوجها..

تقول : أنت لست أنت .. هناك رجل في داخلي.. ورجل خارجي..

زوج حقيقى.. وزوج ليس حقيقيا.. هناك إثنان.. متشابهان.. أحدهما اعترف به والآخر لا اعترف به.. رجل أحبه ورجل أكرهه.. رجل أريده ورجل لا أريده..

أنت.. أنت أكرهك.. أنت إنسان سيء.. لا أريد الحياة معك.. اخرج من حياتى.. إذا أردت أن تعيش معى فلن تجدنى.. سأنتحر ولن يبقى لك شىء.. أنا أريد الرجل الآخر الذى أحبه.. الذى أحبيته طوال عمرى.. الرجل الطيب.. الرجل الذى يحبنى.. الرجل الذى يرغبنى..

● إذن هى الثنائية الوجدانية.. الحب والكراهية معا.. لا يمكن أن يجتمعا.. لأنه لا يمكن أن تحب وتكره فى نفس الوقت.. ولهذا لا بد من اثنين.. أى لا بد أن ينقسم الواحد إلى اثنين.. أحدهما تحبه والآخر تكرهه.. أحدهما تحتفظ له بمشاعر الحب الموجودة منذ زمن بعيد.. والآخر تسقط عليه مشاعر الكراهية التى تكونت حديثا.

ولهذا قبل بداية الحالة كانت تريده.. كانت تلح عليه.. كانت تريد منه أن يؤكد حبه لها.. أن يؤكد رغبته فيها.. كانت تشعر أنه ينفصل عنها.. أساء معاملتها.. هجرها.. لم يستمع لندائها.. أهمل أحاسيسها.. استهان بعواطفها.. مرحلة ما قبل ظهور الحالة.. كانت تشعر بالتهديد.. بأن حبه على وشك أن يموت.. داس على كل مشاعرها فكرهته، ولكنها لا تستطيع أن تكرهه لأنها تحبه.. ولهذا تكون عندها هذه الحالة الوجدانية المتناقضة.. الثنائية الوجدانية.. الخب والكراهية معا..

لم يكن أمامها مفر إلا أن تنفصل عن الواقع.. أن تحتفظ لنفسها بصورة حبيبها الذى تحبه ويحبها.. هذه الصورة تعطىها الطمأنينة.. لا يمكن أن يهجرنى.. أسمع منه كلمات الحب.. أرى فى عينيه الرغبة وأنها مخصصة له وهو مخلص لى..

ولكن هناك شخص آخر لا يحبنى ولهذا أنا لا أحبه. شخص

أكرهه. شخص يشبه حبيبي..

هذا الشبيه يتيح له أن تسقط عليه مشاعر الكراهية التي تشعر بها..

ولهذا فإن كيان هذه السيدة قد تفكك.. وبذلك فقدت اتصالها بالواقع وسقطت في دائرة المرض العقلي.

● الحل لمشكلة التناقض الوجداني أو الثنائية الوجدانية هو تصور وجود هذا الشخص الثاني لكي تسقط عليه مشاعر العدوان والكراهية دون أن تشعر بالذنب إذا وجهت هذه المشاعر لحبيبيها.. فبينما احتفظت لحبيبيها بالمشاعر الطيبة أسقطت المشاعر السيئة على شبيهه.. حدث ذلك بعد أن فشلت في الحصول على الطمأنينة والتأكيد من حبيبيها..

● الثنائية الوجدانية تخلق الشك وعدم التأكد، وبذلك يزيد تدريجياً التوتر الداخلي في شخصية تعاني أساساً من الحساسية الزائدة والغيرة.. وبذلك يعاني الوجدان أشد المعاناة.. الوجدان الذي أحب.. ومن منطلق الحفاظ على هذا الحب تم تصور وجود شخص ثان..

● والحقيقة كما حاولت هذه السيدة أن تعبر عنها هي أننا ندرك بمشاعرنا.. أو بمعنى أدق فإن إدراكنا الحسى يتشكل بمشاعرنا، أو أن عملية الإدراك الحسى (من خلال الحواس).. تكتسب معناها من خلال مشاعرنا وعواطفنا.. هكذا يتم إدراك الانسان لذاته وإدراكه للناس من حوله وأيضاً إدراكه للأشياء..

● أجهزة الاحساس ما هي إلا قنوات توصيل.. ومائراه أو نسمعه أو حتى نلمسه يكتسب معنى.. والمعنى يتم من خلال الوجدان.. إذن الإدراك الحقيقي يتم عن طريق الوجدان..

● هكذا نستقبل عالمنا.. أو هكذا نشعر به فنستقبله.. أو هكذا هو

داخلنا فنراه خارجنا..

إذا حدث الانفصال بين الاحساس والمشاعر نتيجة الاضطراب الوجداني، فإن الانسان لا يقول إن وجدانه مضطرب ولكنه يقول إن الأشياء قد تغيرت أو اختلفت..

فإذا انفصلت مشاعره عن إحساسه بذاته أصابه اختلال الآنية.. وإذا انفصلت مشاعره عن إحساسه بالعالم الخارجى رأى أن هذا العالم قد اختلف وتغير أى إختلال الواقع..

● أما إذا أصيب وجدانه بالتناقض فإن الإنقسام يحدث.. حالة وجدانية بالحب.. وحالة وجدانية بالكراهية.. وهذا مبالا يقوى عليه الإنسان.. إذن لابد من عملية إسقاط.. إسقاط الكراهية على شخص.. وإسقاط الحب على شخص آخر.. هذه الثنائية المتعلقة بشخص واحد تحل مشكلة الثنائية الوجدانية..

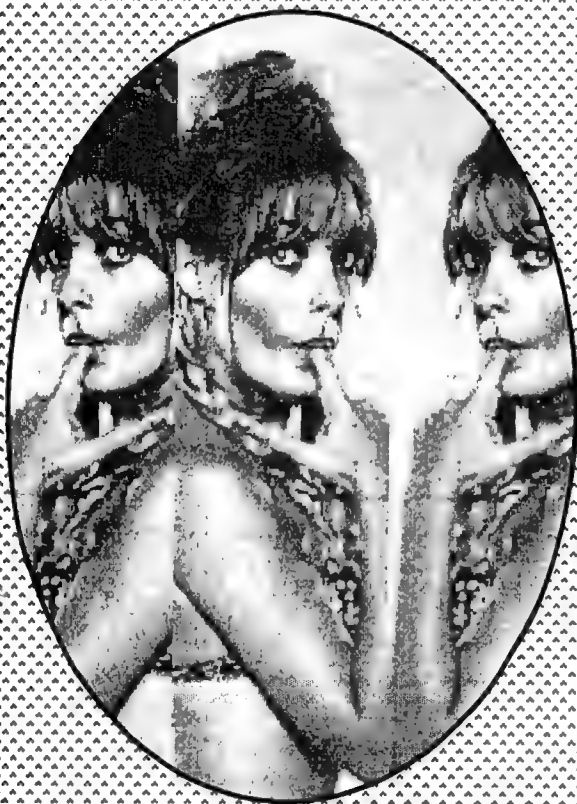
● وسواء كانت هذه الحالة تظهر مستقلة أو إذا ظهرت كعرض في مرض الفصام أو مرض الاكتئاب.. فإنها حالة وجدانية تؤدي إلى اضطراب التفكير فينفصل الانسان عن الواقع.. أى انها اضطراب أولى في الوجدان.. الوجدان الذى يتمسك بحبه وحببيه.. الوجدان الذى يلح في طلب التأكيدات من الحبيب.. فإذا أنكره الحبيب لا يستطيع أن يفترق بموته تماما كحالة كل إنسان حين ينكر الموت.. حين يموت لنا إنسان عزيز تمر بنا حالة إنكار لموته ، لا نصدق أنه مات بل يلزمنا شعور بأنه لا يزال على قيد الحياة وأنه في سفر، وسنفاجأ به بطرق الباب ويعود لنشاركنا حياتنا..

ما أقطع الموت حينما يختطف حبيباً ..

ما أقطع الموت حينما يختطف حبا ..

أسرار
البيوت
في
العيادة
النفسية

الجزء
الثاني



في بيتنا
لنص... !

أزواج
وزوجات
أمام
الطبيب
النفسى

زوجی مهندس کبیر

وأنا .. أستاذة جامعية ..

أما ابنتي الجميلة المدللة: فإنها لصّة !!

انها تذهب إلى الجامعة بسيارة خاصة أنيقة

وما تنفقه على ملابسها وعطورها يزيد على مرتب وكيل وزارة..

ومع ذلك : فانها تسرق !.

نعم .. تسرق أشياء صغيرة لتقع في مشاكل كبيرة..

لماذا يحدث ذلك ؟

وكيف تتوقف عن هذه الأعمال السيئة؟

احاول البحث عن الاجابة في العيادات النفسية..

●● استطاعت أسلاك التليفون أن تنقل بوضوح قدر الهم في

صوت الام الحزينة وهى تقول بأسف وأسى: لا اصدق أن ابنتى

لصة.. لاشك أنها مريضة.. جاءتنى أم صديقتها لتخبرنى ان ابنتى

سُرقت من بيتهم عشرة جنيهاً.. وهذه هي المرة الثانية.. في المرة

الأولى شكوا في أمرها.. فرتبوا لها طعاما وراقبوها في المرة الثانية

وأثبتوا عليها السرقة.. صرخت في وجهها واتهمتها هي وابنتها بالكذب

أو الجنون.. وباندفاع فتحت باب منزلي لتغادره مطرودة.. تمايسكت

السيدة وقالت بهدوء: لقد جئت لمساعدتك ومساعدة إبنك.. أنا أعلم

أن إبتك في حقبة يدها أضعاف هذا المبلغ التافه..

أَحْسَسْتُ فِي كَلَامِهَا الصِّدْقَ الَّذِي جَعَلَنِي أَتَقِنُّ أَنَّ ابْنَتِي قَدْ

فعلتها.. ولكنني أصررت على خروجها لأثبت لها - بيأس - عدم

تصديقي والذي يعنى أن ابنتى لم تسرق.. وبلا روية اندفعت بهنوتى

ناحية ابنتي فوجدت دموعها أسبق من سؤالى..

كصاعقة هبطت فجأة من السماء بلا إنذار.. دقت أجراس الإنذار

في المتجر الكبير بإحدى العواصم الأوروبية فاندفع رجل الشرطة نحو

السيدة التى كانت فى طريقها إلى خارج المتجر عبر الباب الذى دقت من عنده الاجراس.. وفى حجرة التفتيش أخرجوا من حقيبتها «بلوزة» لم تدفع ثمنها.. أراد زوجها أن يؤكد أن هناك خطأ ما. ولكن قرأ فى وجه زوجته الحقيقة.. ولأن البلوزة كانت رخيصة الثمن متواضعة القيمة وأيضا لا تناسب مقاسها.. ولأنها كانت قد دفعت مئات الجنيهات لأشياء اشترتها فعلا من المتجر.. ولأنهم تحققوا من المكانة الاجتماعية المرموقة التى يشغلها زوجها فى بلده.. لذلك قرروا الافراج عنها.. ونصحوا زوجها بعلاجها عند عودتها للوطن.

جلست أمامى باعتدال شامخة الرأس باردة النظرات. توحى ملابسها والمجوهرات التى تدلت من أذنيها والتفت حول رقبتها وأحاطت بأصابعها بثرء وفير.. وأيضا أصيل عريق لحسن تناسق مظهرها.. الأمر الذى ساعد فى تضخيم هالة الكبرياء التى تشع منها.. ولكنها حين بدأت تتكلم بصوت متداع بدت كجبل من طين هش أخذ فى الانهيار لعدم تماسك داخله..

.. قالت : أرجوك إحمئى من نفسى.. لقد تعرضت اليوم لأقسى موقف فى حياتى.. أدركت معنى أن يتمنى الانسان فى موقف ما أن تنشق الأرض لتبتلعه حتى وإن كان فى ذلك هلاكه.. المعنى هنا أنه يريد أن يهرب من تلك العيون التى تدينه وتشعره بالخزى..

كنت فى زيارة أعز صديقاتى.. ذهبت لتعد لنا قهوة إعتدنا أن نشربها معا فى لقاءات مودة.. عاودتنى حالة القلق التى أشعر بها عند كل زيارة لهذا المكان.. أخذت توترى الداخلى يتصاعد تدريجيا حتى وصل إلى حلقى فشعرت بجفافه وكأنه انشق فتعرض لشمس حارقة.. اهتز كل جسدى وانتفض قلبى يعنف.. فدارت عيني فى المكان فبصرت زجاجة عطرها على مقربة منى.. داهمتنى الرغبة فى أخذها.. حاولت أن أقاوم ولكننى فشلت مثل فشلى فى مرات سابقة..

تحركت قدماي بلهفة وخوف.. وقعت يدي المشتاقة عليها فتلذذت بملمسها وأحسست بسعادة غامرة وزال عني كل توتر.. فتحت حقيبتي يدي بسرعة وإذا بصديقتي فوق رأسي.. رمقتني بنظرة تجمع فيها خليط من الدهشة والعتاب والاحتقان.. فانهارت أصابعي ووقعت زجاجة العطر على الأرض. وفاحت رائحة العار من العرق الذي بلل كل جسدي..

قالت صديقتي بصوت فيه تهكم وحسرة: الآن زال عجبى وأدركت سر إختفاء أشياء مني كل مرة تشرفينني فيها بزيارتك.. لا أدري إذا كنت قد غادرت منزلها بإرادتي أم بناء على رغبة منها.. أما وقد انكشف أمرى.. وهذا ماكنت أخشاه وأتوقعه.. فلا مفر من أن تحاول أن تساعدني.

تعرف الحالة في الطب النفسي باسم «جنون السرقة».. وهي ليست بجنون وأيضا ليست بسرقة.. ولكن لأنها حالة غير سوية فقد أطلق عليها بتجاوز مغل جنونا.. ولأنها تمثل اعتداء على ممتلكات الآخرين فقط أطلق عليها بتجاوز مغل سرقة.. فهي ليست جنونا لأن صاحبها لا يعاني من أي اضطراب في التفكير أى لاتسيطر عليه الهذات أو الضالات. كما لايعانى من أى هلاوس.. بل أن شخصيته متماسكة وسلوكه الاجتماعي سوي.. ولا تبدو عليه أية أعراض مرضية..

وهي ليست سرقة لأن السارق يخطط.. وينوى.. ويرغب في الشيء المسروق. ويستعمله ويستفيد به بعد إتمام السرقة..

الحالة هنا مختلفة.. فالمرضى يعانون.. يعانون من فشل للتكرار في مقاومة رغبة ملحة بالسرقة.. أى أن هناك رغبة ملحة تدفعه ليمد يده. ولكنه يقاوم ويقاوم.. ولكنه يفشل في مقاومته.. أى أن هناك قوتين متعارضتين.. قوة تدفعه للسرقة.. وقوة أخرى تحاول منعه.. لأن

السرقنة حرام.. ولأنها مخلة بالشرف.. ولكن رغبة السرقة تنتصر.
ويفشل المريض في مقاومتها في كل مرة..

اللص الحقيقي ليست لديه هذه القوة التي تقاوم رغبة السرقة..
ورغبة السرقة لا تأتي بشكل مفاجئ قهري وملح.. ولكنه يخطط لها.
وقد يشترك معه آخرون..

ومريضنا أو مريضتنا لا يقصد الشيء المسروق لذاته.. فهو
لا يسرق بقصد إقتناء هذا الشيء أو استعماله والاستفادة منه.. أى
لا يسرق للقيمة المادية للشيء المسروق.. فالأشياء المسروقة إما أن
ترمى أو ترد لأصحابها أو يقوم باخفائها للأبد.. أما اللص الحقيقي
فهو يبغى الشيء المسروق للاستفادة المادية من ورائه..

ومريضنا يملك المال لشراء هذا الشيء.. أى أنه لا يعاني حرمانا
ماديا.. ويستطيع بسهولة أن يشتري هذا الشيء المسروق والذي قد
لا يتجاوز ثمنه قروشاً أو جنيهات معدودة.. فهو لا يسرق مثلاً مئات
أو الالف الجنيهات.. وإنما قد يسرق عشرة جنيهات.. وهى لا تسرق
فراء ثميناً بألاف الجنيهات.. ولكنها تسرق بلوزة لا يتجاوز ثمنها
عشرة جنيهات.. وهذا يكشف لنا عن حقيقة هامة.. وهى أن عملية
السرقه هى الهدف وليس الشيء المسروق.. لأنه فى كل الأحوال يكون
شيئاً نافعاً هو فى غنى عنه.. ويملك أكثر منه.. ويستطيع إقتناؤه بالشراء
بسهولة..

كيف تتم عملية السرقة .. ؟

بلا أى تخطيط أو إعداد أو فكرة مسبقة.. وفجأة تقع عينها على
الشيء.. فيتصاعد داخلها وبسرعة الاحساس بالتوتر.. قد يصاحب
ذلك أعراض فسيولوجية كسرعة ضربات القلب والعرق وجفاف
الحلق وتزوغ عيناها.. مع عدم القدرة على التركيز.. ولكنها تظل
محتظة بوعياها الكامل.. وتسيطر عليها رغبة قهرية فى سرقة هذا

الشيء.. ولكنها تقاوم وتقاوم.. وفي النهاية تفشل مقاومتها.. فتتحرك بحذر نحو هذا الشيء.. وتنتهز الفرصة لتلتقطه بسرعة وتخفيه.. في تلك اللحظة الحاسمة يزول عنها تماما التوتر.. بل وتشعر بالاسترخاء والتلذذ والإحساس بالأرضاء.. تماما كما يشعر العطشان بالارتواء.. هو نفس الإحساس بإطفاء العطش.. التخلص من التوتر هو الذي يحقق الشعور بالرضى واللذة.. بعدها قد لا تشعر بالذنب.. ولكن في بعض الأحيان يكون هناك إحساس بالتعاسة والاكتئاب والشعور بالذنب.. وقد يكون هناك قلق وخوف من العواقب.. ثم تنسى تماما الشيء الذي سرقته.. ولهذا تتخلص منه بسرعة.. قد تعيده إلى أصحابه.. وقد تقذف به في الطريق.. وأحيانا تخفيه في مكان مأمون دون أى رغبة في استعماله أو الاحتياج له في وقت لاحق..

وتعاودها الحالة مرات ومرات.. ويصاحبها نفس الفشل.. وليس بالضرورة أن تسرق في كل مرة من نفس المكان أو من نفس الأشخاص أو نفس الأشياء.. فهي لاتعرف متى ومن أين ومن سترقى في المرة القادمة..

وتسأل بعد إتمام السرقة.. لماذا؟ لماذا فعلت ذلك..؟

ولكنها لاتستطيع أن تجيب نفسها.. ولاتستطيع أن تجيب المحقق إذا اكتشف أمرها.. ولا تستطيع أن تجيب الطبيب عن دوافعها الشعورية.. فبالدواعي الحقيقية موجودة في اللا شعور وهي لاتعرف عنها شيئا.. فهي حائرة من أمر نفسها.. فهي تعي وتدرك أن الإنسان قد يسرق حين يكون محتاجا لما يسرقه أو يسرق لطمعه وشرهته.. أو يسرق لاضطراب في أخلاقه وسلوكه.. ولكنها ليست كذلك..

هل هي رغبة في إيذاء الآخرين حين تأخذ ما يمتلكون؟

بلا شك ليست هناك رغبة في شيء محدد.. ولكنها الرغبة في الفعل.. واللحظات الحاسمة هي تلك التي تلتقط فيها هذا الشيء..

والضحية قد تكون أعز صديقة أو شقيقة أو النوالدين.. وقد تتم السرقة من مكان عام كالنادى أو مكان العمل أو متجر كبير.. وهى أكثر فى النساء.. وأكثر بعد سن الثلاثين.. غالبا ماتكون بين الأربعين والخمسين.. وتكثر أيضا فى مرحلة المراهقة وتحت سن العشرين.. والغريب أنها تزداد قبل الدورة الشهرية أو اثناءها..

هناك تفسيرات نفسية عديدة.. ولكن السمة الغالبة أنها إنسانة تعاني من الوحدة والشعور بأنها منبوذة.. والسمة الغالبة أيضا أنها تعاني من قلق مزمن مع مشاعر مسيطرة بالتعاسة تصل فى بعض الحالات إلى إكتئاب فعلى.. فكل الأبحاث أثبتت بشكل قاطع أن نسبة كبيرة من هذه الحالات تعاني من حالة إكتئاب.. وذلك يفسر السرقات التى تحدث من مرضى الاكتئاب والهوس الدورى.. ويفسر أيضا ارتفاع نسبة حدوثها قبل أو اثناء الدورة الشهرية.. ومن المعروف أن المرأة تعاني من اضطرابات إنفعالية أهمها الإكتئاب بسبب الدورة..

فرويد يرى أن أى سارق لديه إحساس بالذنب على مستوى اللاشعور.. وإنه بحاجة إلى العقاب.. ولهذا فهو يسرق حتى يكتشف أمره ويتم عقابه.. وبذلك يتخلص من مشاعر الذنب..

ولكن هناك إجماع بين المحللين النفسيين أن أصل المشكلة يرجع إلى مرحلة الطفولة حين يتعرض الطفل للإهمال وجرح المشاعر واقتفاء الحب.. الحب الذى يحقق الإرضاء واللذة.. ولهذا يظل يعاني من الحرمان العاطفى.. الحرمان الذى تعرض له فى أهم مراحل نموه النفسى.. ولهذا فهو يسرق.. أى شئ لعل ذلك يحقق له تجالة الإرضاء.. إنه يأخذ من الآخرين أشياء كبديل لحبهم المفقود..

إنها الرغبة فى امتلاك أشياء للحصول على قوة يحارب بها حالة فقده المعنويات.. هذا الإنسان يفقد معنوياته بسرعة.. لأقل مؤثر خارجى تهبط معنوياته.. والمؤثر يأتى من خلال اضطراب علاقته

بالآخرين ، خلاف أو صراع أو إهمال أو نبذ .. بسرعة يداهم
الاكتئاب .. يغوص قلبه إلى أسفل .. ينطبق صدره .. يشعر بالجوع
العاطفى .. يشعر بالاحتياج إلى نظرة حنان أو كلمة ود .. يشعر
بالاحتياج إلى الطمأنينة من خلال حب الآخرين واهتمامهم .. بسرعة
أيضا تنخفض المعنويات حين يفقد هذه الأشياء ..

حين تتم عملية السرقة فإنه يأخذ شيئا ويمتلكه .. والسرقة تتم
تحقيقا لرغبة قهرية .. أى أن هناك احتياجا ملحا .. وبعد أن يأخذ هذا
الشيء تطمئن نفسه وتهدأ .. يشعر بالإرضاء .. إنه بديل الإرضاء
العاطفى ... وبما أن السرقة تمثل عدوانا على الآخرين .. فهذا يعنى أن
رغبة الامتلاك ليست خالصة وحدها .. وإنما يصاحبها رغبة عدوانية
تجاه الآخرين .. فالآخرون هم الذين نبذوه وعزلوه وحرموه من
الحب ..

إنه هو تعبير عن عدوان لا شعورى كامن .. عدوان سببه الألم
والإحباط .. فمشكلة الإنسان هى إنسان آخر أو مجموعة من الناس
كان له أو لهم تأثير سلبي فى حياته .. وخاصة فى طفولته .. تركوا أثارا
لجروح على جدار نفسه .. فأصبح حساسا لأى مشكلة إنسانية ..
أصبح حساسا لموقف الآخرين منه ومشاعرهم تجاهه .. لا يستطيع
أن يصمد لغدر الآخرين أو تنكرهم له أو اتحادهم ضده ..

فساد الهواء السارئ بينه وبينهم يخلق صدره بسهولة ويهدد
حياته .. اختفاء نبرات الود من أصواتهم تحرق أذنيه .. نظرات العداء
أو السخرية فى عيونهم تفتق عينيه .. حين يولونه ظهورهم يشعر
بالغربة والضياع .. حين ترفض أيديهم مصافحته تنهزم نفسه
ويشعر بالضالة ..

إنه هو حالة من الحساسية ورثها فى طفولته نتيجة لاضطراب
العلاقة مع الأب والأم .. وتعاود الحساسية الظهور حين يتعرض

لواقف إنسانية مشابهة يشعر فيها بالوحدة والعزلة .. فيداهمه
الاكتئاب .. ولا سبيل للتخلص من هذا الاكتئاب إلا أن يمد يده لشيء
يمتلكه إنسان آخر .. إنها لحظة إثارة تخدر أحاسيسه القلقة .. لحظة
إثارة يحتاج إليها ليوظ أحاسيسه الراكدة بفعل الاكتئاب .. لحظة
إثارة لرفع معنويات متداعية هبطت إلى القاع ..

● تقول فتاة الجامعة التي سرقت من بيت صديقها عشرة
جنيهات :

هجرنا أبى منذ خمس عشرة سنة حين كان عمرى أربع سنوات
لسوء معاملة أمى له .. عشت مع أمى وجدتى فى شبه قصرى زخر
بحجراته الخاوية الباردة .. عالمى كان حجرى التى تفصلها مئات
الأميال عن حجرة أمى التى عاشت فى عزلة بعد أن هرب منها زوجها ..
انقطعنا عن العالم وانقطع عنا .. ولا أذكر يوما أن صديقا ودودا
طرق بابنا .. وكل من يحاول أن يقترب منا هو من وجهة نظر أمى
يطمع فىنا ويريد استغلالنا .. فالعالم كله سيء ملئ بالأشرار
والانتهازين .. ولا أعتقد أن معاملتها لى اختلفت عن معاملتها مع أبى
الذى فر بجلده .. كنت أشعر وكأن بيتنا مدرسة أنا الطالبة الوحيدة
فيها وأمى هى النازرة التى تفرغت للطالبة اليتيمة .. فى أوقات كثيرة
كنت أشعر أنها تكرهنى لأنى أشابه أبى شيكلا وعماتى سلوكا ..
كانت دائما تنعى حظى وحظها لأنى اكتسبت الصفات الوراثية لأسرة
أبى .. ولم أرث منها ومن أسرتها بعض فضائلها الشكلى والسلوكية ..
راودتنى كثيرا فكرة الهروب مثلما فعل أبى .. وحين كنت أنهار
وأعترض كانت تبكى بضعف مؤكدة حبها لى وإننى الأمل الوحيد
الباقى فى حياتها .. وأنها تريدنى أن أكون أحسن الناس ..

تنفست الصعداء حين التحقت بالجامعة لأرى العالم وأعيشه
وأتعامل معه بحريتى وإرادتى .. ولكننى صدمت بعجزى عن التعامل

مع الناس .. التعامل الذى يقتضى أن تعطى مثلما تأخذ.. أحسست بالغربة والاختلاف.. شعرت أنى منبوذة وحيدة.. كنت أعود إلى بيتى منهاراً وبأكية وتصاعدت مشاعرى السلبية تجاه أمى وأيقنت أنها السبب فى عجزى.. كانت حجتها أنها أرادت أن تحمينى من خبت الناس.. تماماً مثل الأم التى تحمل طفلها لأنها تخشى عليه الوقوع والاصابة إذا حاول أن يمشى حتى تضمر عضلاته ويعجز عن المشى حين يكبر.. سيطر الاكتئاب على حياتى.. ولم أكن أستطيع أن أتكلم أو أشكو.. حتى راودتنى الرغبة الملحة فى أن تمتد يدي إلى أشياء لاتخصنى.. وكانت البداية مع أشياء أمى.. ولم تتصور إطلاقاً أننى السارقة.. وفى كل مرة يختفى شيء كانت تتهم الخدم حتى فروا منها. وتحملت كل الأعباء بمفردها..

وفى العام الجامعى الثانى نجحت فى إقامة علاقة مع صديقتين.. فهدأت نفس وزال عنى هذا العرض السخيف.. ولكننى صدمت بعنف حينما ابتعدتا عنى.. وأصبحتا أكثر إقتراباً من بعضهما وتركاني وحيدة معزولة.. فسبأت حالتي أكثر. وأصابتنى مرارة دائمة.. وعاودتنى رغبة السرقة.. ولكنها فى هذه المرة خرجت من نطاق بيتى إلى أى مكان أتواجد فيه وخاصة فى أى بيت أزوره.. أقاربى أو زميلاتى.. كنت أشعر بالهدوء النسبى بعد أن تتم السرقة وكأننى حققت انتصاراً أستحق عليه مكافأة.. وكانت سعادتى مضاعفة حين كنت أسرق من إحدى زميلاتى.. كنت أشعر بالنشوة وأنا أراها تبحث عن الشيء الذى فقدته.. حتى وإن كان قلماً رخيصاً ثمنه بضعة قروش.. واقتربت من زميلة أخرى وتوطدت بيننا صداقة كانت تبشر بعلاقة ودودة مستقرة.. وتصورت أن مشاكلى انتهت.. ولكننى فوجئت برغبة السرقة تعاودنى وأنا فى منزلها رغم حبى لها وحبها لى.. وكأننى كنت أتوقع منها الغدر وأنها ستنبذنى فى يوم من الأيام مثلما

فعلست بقية الزميلات.. لا أفهم لماذا كنت أسرق رغم أنني أحتقر كل سارق..

تقول السيدة البتي ذهبت مع زوجها في سياحة لحدى الدول الأوربية ثم ضبطوها بسرقة بلوزة رخيصة السعر من أحد المتاجر: ولدت لأب سكير وأم تلغنه في كل وقت.. وفي المرات المعدودة التي قبلنى فيها كنت أشعر بالاشمئزاز لرائحة لم تكن تفارق فمه. ربما لأن معدته لم تخل في أى وقت من الخمر.. ساءت حالته الصحية وتعطل عن العمل.. واضطرت أمى للعمل حتى تعولنا.. شقيقتى الوحيدة التى كانت تكبرنى سنا وتقل عنى جمالا لم تأبه لما حدث فى بيتنا لأنها استطاعت أن تجد متنفسا فى لهوها وعبثها خارج البيت.. ولكننى لم استطع أن أمشى فى طريقيها كما لم أستطع أن أنفصل بوجدانى عن أبى وأم.. ولكنى استجيت لأول طارق طلبنى للزواج وأنا بعد لم أنته من تعليمى الثانوى.. كان يكبرنى بعشرين عاما.. وأذعنت أمى نظرا لمكانته الاجتماعية المرموقة وموقفه المادى شديد التميز.. لم أشعر بأى عاطفة نحوه حتى هذه اللحظة.. ورغم انبهاره بجمالى فى بداية زواجنا إلا أنه أهملنى بعد أن أنجبت طفلى الأول.. وهجرنى تماما بعد طفلى الثانى. وكان يظن أن ماله ورحلاتى معه لأوريا يعوضنى عن إقتقاده كرجل.. وأصابتنى كآبة عجزت معها عقاقير الأطباء النفسيين.. وكانت حالتى تسوء أكثر فى الأيام القليلة التى تسبق موعد الدورة الشهرية. حيث يمتزج إكتئابى بقلق حاد يجعل حياتى عذابا..

وبدون أن أفهم وجدتنى تحت تأثير رغبة قهرية تعاودنى من وقت لآخر لاسرق أى شىء من أى إنسان ومن أى مكان.. كانت تلك هى اللحظات الوحيدة التى يهدأ فيها قلقى وتخف حدة اكتئابى.. ولكنه

كان تحسنا زائفا مؤقتا لساعات كتأثير الخمر التى سرعان ما يختفى مفعولها المهدىء للقلق مع تطايرها من المخ..

لم أكن أشعر بأى تأنيب لضميرى بعد كل مرة، كان وجدانى متبلدا.. سرقت حوالى عشرين أو ثلاثين مرة ولكننى لا أتذكر ماذا سرقت ولا أين تلك الأشياء التى سرقتها..

وقالت السيدة التى حاولت أن تسرق زجاجة العطر من بيت صديقتها:

قد لا تصدق أننى لم أعرف عن تفاصيل العلاقة الجنسية بين الزوجين إلا فى اليوم السابق على زفانى حين تطوعت إحدى خالاتى بتزويدي بهذه المعلومات. لأنه كان من المستحيل أن تقوم أُمى بهذا الدور. لأنها ظلت على مدى عشرين عاما لا تتناول موضوع الجنس معى إلا بعينيهما اللتين كانتا تنقلان لى التحذير والترهيب من مجرد مناقشة هذا الموضوع فى ذهنى أو مجرد تصويره فى خيالى.. إنه الإثم بعينه.. لو تجرأ عقلى وطرح الموضوع بالفكرة أو بالصورة.. فما بالك بالتمنى والرغبات.. ولذا ماتت كل أحاسيسى فى الليلة الأولى وعلى مدى عشر سنين حتى الآن..

نشأت فى بيت أب من أغنياء جنوب مصر الذى سلمنى إلى ابن أخيه. فلم أشعر أن حياتى تغيرت كثيرا بانتقالى من بيت الأب إلى بيت الزوج. بالرغم من السنوات التى قضاهما الزوج فى أوربا للحصول على أعلى درجة جامعية.. أخذته منى كتيبه ومراجعته وأخذنى منه تبلد مشاعرى.. لم أنعم منه إلا باسمه اللامع. كما لم أنعم من والدى إلا بماله بعد وفاته.. وعشت فى فراغ لم يبيده قضاء معظم وقتى مع صديقاتى.. ورغم تفوقى عليهن مالا وجمالا ومكانة إلا أننى كنت أشعر أننى الأدنى فى أنوثتى التى وأدتها أُمى وكثف زوجى فوقها التراب.. حتى زوجة البواب كنت أشعر بتفوقها على.. ولهذا كنت أبالغ

في مظهرى وأبالغ في كبريائى الذى كان يفقدنى أحيانا كثيرا من الناس..

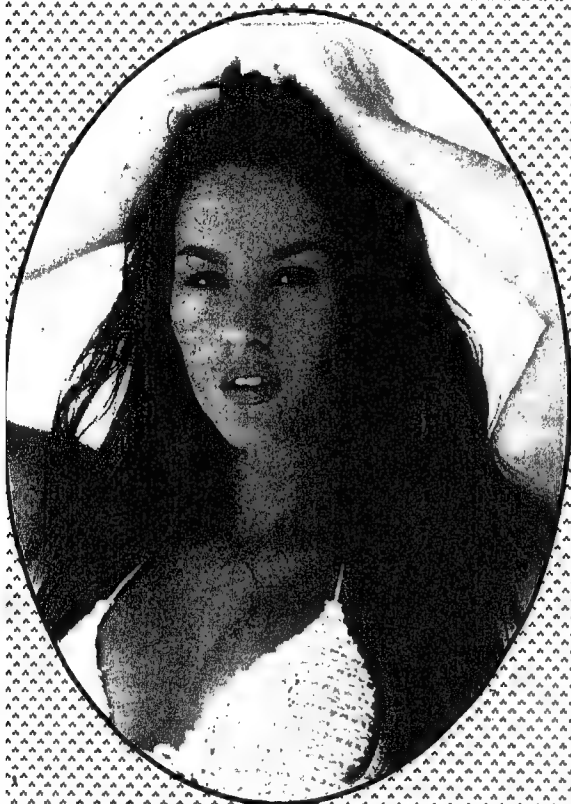
أحسست أن حياتى جاوية من المعنى والهدف فلازمنى الاكتئاب الذى أدى إلى تكسير معنوياتى.. وبلا سبب مفهوم لى أصبحت تراودنى رغبة ملحة فى سرقة أى شىء من عند أى صديقة أزور بيتها.. تلك كانت اللحظات الوحيدة التى أشعر فيها بالاثارة.. إثارة تنتشر فى كل أجزاء جسدى فأشعر بنشوة لذيذة منعشة أعود بعدها إلى بيتى لأنام نوما هادئا عميقا.. ولم أفكر فى أن أمتنع عن ذلك السلوك المهين حتى لا أحرم نفسى من تلك الأحاسيس.. ففجأة أشعر بالتوتر يهز كل خلية فى جسدى.. وحين تمتد يدي لتسرق أشعر بالنشوة تتدفق رويدا رويدا حتى أصاب برعشة شديدة مرتقبة تنتهى فى ثوان أهدأ بعدها..



القاسم المشترك بين الحالات الثلاث هو الحرمان.. الحرمان من التواصل الانسانى بأى من أشكاله الفكرية أو الوجدانية أو الجسدية.. ولهذا عانت هذه الحالات من الاكتئاب ، وتجىء السرقة لتهز النفس أو الجسد وتزعزع الاكتئاب الجاثم على نفسى للحظات كشهاب من نار يبدد ظلام الكون لثوان. ويحرق من يلامسه ثم يحرق نفسه.

أسرار
البيوت
في
العيادة
النفسية

الجزء
الثاني



بأظافري ..
أمزق وجهي .. !

أزواج
وزوجات
أمام
الطبيب
النفسى

أعرف أن مظهر وجهي قد أصبح منفرا !
وأعرف أن سبب ذلك هو أظافري التي تنهش جلد وجهي بلا
رحمة..

نعم .. أظافري أنا ..
ولكن .. ماذا أفعل وقد فشلت في إيقاف أصابعي عن هذا
العدوان على وجهي !
إنها جريمة ارتكبتها .. ولن ينقذني من نفسي إلا : الطبيب
النفسي !!

● ● هذه الحالة تمثل صورة من صور إيذاء الذات .. عداء
الانسان لنفسه .. عدوانه على جسده لتشويهه .. مستخدما يده
وأظافرها في خدش جلده حتى تدميه وتحدث جروحا تترك أثارا قد
لا تمحى ..

وتمتد الأصابع للشعر فتزعه من جذوره تاركة مساحات جرداء
في الرأس كمن أصابه صلع مبكر أو أصابه مرض أدى إلى تساقط
شعره ..

● ● يتألم الانسان لهذه الفتاة الجميلة ذات الخد المشوه
ويتصور أن اعتداء وحشيا وقع عليها من يد أثمة اغمدت أظافرها في
جلدها .. ويندهش غير مصدق أن هذه البلد هي يدها هي .. كل فتاة في
عمرها أو أي امرأة في أي عمر يقلقها شكلها ومظهرها وتحرص على
أن تبدو في أكمل وأجمل صورة وتتألم إلى حد الحسرة إذا أصابها ما
يجرح جمالها .. وتبذل جهدا في أن تعالج وتدارى عيوبها وخاصة إذا
كان الأمر يتعلق بجلدها .. ولكن هذه الفتاة عابدة متعمدة تسيء إلى
هذا الجلد وفي أبرز مكان تقع عليه عيون الناس ..

يتألم الانسان أيضا ويتعاطف مع هذه الفتاة الجميلة الصغيرة
التي بدأ شعرها في التساقط في هذه السن الغضة فظهرت مساحات في

رأسها تشبه صلع الرجال.. يتصورها الانسيان بائسة وباكية على مستقبلها الذى ضاع .. فما أهم شعر الانسان ومدى تأثيره على الشكل ..

ويندهش غير مصدق أن يدها هى قد تحولت إلى مقص طائش تملكه الانتقام، فراح ينتزع الشعر بلا هوادة أو رحمة .. تقول الفتاة فى محاولة لوصف حالتها : من الصعب أن أصف لك كيف أشعر قبل أن تمتد يدي إلى رأسى .. انها حالة من القهر لا أستطيع مقاومتها .. رغبة عارمة تملكنى لأرفع يدي إلى هذا الجزء من رأسى لأعريه من شعره .. تتوتر يدي .. تنشايك الأصابع فى ضغط متبادل وكأنها تقاوم شيئا .. وكأنها تضغط على شيء تحتويه لتخطيمه .. وتتدرجيا تتخاذل فتبتاعد مستسلمة .. وفى نفس الوقت أحس بأشياء غريبة فى تلك المنطقة من رأسى .. شيء يسرى تحت الجلد فيقلق جذور شعري وأكاد أحس بكل شعرة على حدة .. يتركز كل الاحساس فى هذه المنطقة وتتحرك مشاعري تجاهها وكأنها تنادى أو تستغيث فتهرع يدي إليها .. وعند هذه اللحظة ينصرف وعي عنها .. وبدون إرادة أو فهم انتزع شعرة شعرة .. تتحرك أصابعي بمهارة لتلتقط كل شعرة على حدة .. ولكن أصابعي لا تستسلم وتلجأ إلى العنف لنزعها، ترفعها .. ثم تبسطها أمام عيني فأشعر بالارتياح .. وتتعاون الأصابع فى لف الشعرة حول أحدها وكأنها وقعت فى أسر لا فكاك ثم يرفعونها لأسناني لتقضمها أو لأنفي لتشمها.

وتعاود الأصابع نشاطها مرة تلو مرة حتى تهدأ نفسى .. أو حين أحس بألم شديد فى هذه المنطقة من الرأس التي انتزع معظم ما فيه من الشعر مرة واحدة.

● تسألني، ألا أخاف أن أفقد كل شعري بهذه الطريقة .. أجيبك :
إننى لا أفكر فى هذا كثيرا. إننى أحاول تغطيته أو ألبس باروكة

أحيانا وإذا كنت خائفة حقا لما كررت هذا الأمر مئات المرات حتى
فقدت نصف شعري كما ترى .. أقول لك انها رغبة عارمة قهرية
تدفعني دفعا إلى انتزاع شعري .. إذا قاومتها أشعر بقلق وغيظ
ولا تهدأ نفسي إلا بعد أن أشعر بالألم في رأسي .. بعد أن أنزع أكبر
قدر من الشعر.

لا أستطيع أن أقرأ أو أكتب إلا وأصابني تمارس هوايتها في
شعري .. وحين أتأهب للنوم .. وحين أكون وحيدة .. وحين يسرح
خيالي بعيدا وتستولي على أحلام اليقظة .. وحين أشعر بالغيظ من
إنسان .. أجلس حزينة مهمومة لأسبب ما أو بدون سبب .. تنبهني
أمرى فأتوقف .. دهشتها تحولت إلى قلق ثم إلى غضب وأصبحت
متفرغة لمراقبتي بين أصابعي وبين شعري.

● البعض قد ينزع شعر الحاجب أو الرموش أو الشارب ..

● الحالة قد تصيب الأطفال أيضا .. والتحليل النفسي يرى أن
عدوان الطفل تجاه نفسه هو أساسا عدوان موجه إلى الأب والأم
لاهما لهما له .. وقد تمتد يده إلى شعر طفل آخر يريد نزع .. وهنا
تجتمع المازوخية والسادية.

● بعض الحالات تظهر في مرض الفصام الاضطهادي .. ولكن في
معظم الحالات لا يوجد مرض عقلي .. وإنما تظهر الحالة في شخصية
تتسم بالعجز والاعتمادية تعاني صراعات نفسية ناشئة عن عجزها
في التعامل مع الناس والتكيف مع الواقع ومواجهة المشاكل والمواقف
الصعبة .. والصراع أيضا بسبب عدم قدرتها على الاستقلال العاطفي ..
فهناك الرغبة في الاستقلال وعدم القدرة عليه في نفس الوقت.

● البعض يرى أن نزع الشعر يحقق لذة نتيجة للألم المصاحب
فالصراعات التي تعاني منها هذه الحالة تدور حول موضع الجنس
والاجساس بالذنب المصاحب له.

نعود مرة أخرى إلى تفحص مشاعر هذه الفتاة والغرض في

أعماقها.. ماذا تفعل بنفسها..؟ إنها تعتدى على نفسها.. وهذا يعنى
أنها تشعر بالعداء تجاه نفسها.. هذا العداء يولد لديها الرغبة في
الاعتداء.. وهو اعتداء جسيـم يهدد جمالها.. نسترجع كلماتها فنجدها
تقول إنها لا تستطيع مقاومة هذه الرغبة .. وأنها حين تنزع شعرها
تكون غير واعية .. ثم تهدأ مع كل شعرة تنتزعها .. ثم تقول في النهاية
أنها لا تشعر بالأسى حتي بعد أن فقدت شعرها وهنا تبرز عدة
أسئلة : هل معقول أن يناصب الإنسان نفسه العداء..؟ هل يمكن أن
يعتدى الإنسان على نفسه بهذه القوة فيشوه شكله..؟ إذا تفحصنا
بدقة سنجد أن هذه الفتاة تحب نفسها، أو بمعنى أدق لا تحب إلا
نفسها .. أى أن هناك حبا شديدا للذات لا يسمح بأى مشاعر تجاه
الآخرين وذلك ما يعرف «بالترجسية»..

من هو الإنسان النرجسى؟ الإنسان النرجسى هو الذى لم تتح
له فرصة أن يحب الآخرين .. وذلك لأن الآخرين لم يقدموا أى حب..
أن ذلك يرجع إلى مرحلة مبكرة من العمر .. في الطفولة .. حين تعرضت
مشاعر الطفل وعواطفه إلى الإيذاء.. فعواطف الطفل تجاه الآخرين
تتكون من خلال عواطفهم نحوه.. فهو يحب أن يتلقى الحب أولا..
الحب غير المشروط.. ويגיע هذا الحب في صورة الاهتمام والترحيب
به.. ويجب أن يدعم هذا باستمرار ليتأكد من هذا الحب.. فإذا شعر
بالاطمئنان فإنه يبادلهم الحب حتى يضمن استمرار عطائهم.. وبذلك
يشعر بذاته كيانا مستقلا يأخذ ويعطى في علاقة تبادلية عادلة.. يأخذ
حبا ويعطى حبا.. والحب معناه أنه لن يتعرض للإيذاء.. لن تجرح
مشاعره.. وبذلك لن يحتاج إلى أن يأخذ موقفا دفاعيا يشعر معه
بالتهديد المستمر.. إذا تعرض الطفل للاهمال العاطفى وجرححت
مشاعره شعر بالتهديد.. ولهذا يجب أن يدافع باستمرار وتوجيه كل

طاقات الحب نحو نفسه.. وكأنه يقول : إذا لم تحبوني فإننى سوف أحب نفسي.. واستطرد يقول : لو أحبيت شخصا آخر فإن ذلك سوف يعرضنى للإيذاء.. ولهذا فلن أحب أحدا إلا نفسى.. هذه النرجسية مع ما تحمله من حب لنفسه فقط فإنها تعنى أيضا أنه يحمل مشاعر العداوة ضد المجتمع. مشاعر العداوة التى تولد رغبة التحطيم.. ولأنه لا يستطيع ذلك فإنه يوجه هذا العداوة إلى نفسه.. إيذاؤه لذاته هو رمز لرغبته الدفينة فى تحطيم الآخرين.. يا أيها الآخرون كم عانيت منكم.. عانيت صدكم وإهمالكم.. عانيت جحودكم وجمود عواطفكم.. تركتمونى وحيدا عاريا تلسعنى برودة شتاء حياتى.. المستمر.. تجمدت خطواتى ولم أستطع حتى أن أحبو نحوكم.. فجلست لخالى أرهاها وأغدق عليها حبا يواسيها.. حبا كنت أدخره لكم.. ولكن الويل لكم.. فبقدر حبنى لنفسى بقدر كراهيتى لكم.. لكم العداوة ولنفسى السلام.. وهذه نفسى أحطمها أمامكم لتعرفوا مدى فظاعة عدائى لكم ورغبتى فى تحطيمكم.. ذاتى أقسو عليها.. أؤذيها.. أشوهها رمزا ومعنى لرغبتى المكبوتة فى إيذاؤكم جميعا.. أنظروا إلى حتى تعرفوا ما أعانيه بسببكم وما أتمنى أن أفعله بكم.. أنظروا إلى يدي وهى تنزع شعري فأشعر بالآلم فأستمر حتى يتم التشويه فتهذا نفسى لأننى حققت رغبتى فى الانتقام منكم ممثلين فى نفسى.

إذا أرفقنا السمع سنجد أنها وهى تنزع شعرها-توجه نداء- تستصرخ من أجل الاهتمام.. من أجل التعاطف.. من أجل أن تبادلهم ويبادلوها حبا بحب.

قالت :

أشعر بالرعب حين يغضب منى.. أتصور أنه سيتركنى ولا يعود.. حين يغضب لانشغاله أعتقد أنه سئم لقائى.. حين ألقاه فأجده

متحفظا لا يبدى فرحة لرؤيتي ترتعد مشاعري خشية ذبول حبه لي..
أعيش في قلق مستمر يزداد حدة مع كل لقاء وكل فراق.. بعد أن
يمضى أحس بالسأم تجاه كل شيء.. تنور أعصابي فيهرب الجميع
من أمامي.. تتمكنني رغبة في أن أعيث بوجهي.. أنظر إلى أصابعي
فأجد آثار دماء فتزداد رغبتى إلى المزيد من وجهي.. أمنع نفسي حتى
احتفظ بجمال وجهي له.. ولكن حين تكتئب نفسي بشدة لا أستطيع
أن أقاوم واستمر في إيذاء وجهي بدون وعي.. هذه الحالة تتكرر في كل
مرة نفترق فيها.

قالت :

هل تتصور وأنا في العشرين من عمري أعيش مع أخت لي
تصغرنى بثلاث سنوات بمفردنا.. أمى تركتنا ونحن أطفال لتلحق
برجل آخر.. عشنا مع أبى وهو كاره للعنصرية وكاره لنا.. تزوج وطلق ثم
تزوج وطلق وتصور في النهاية أننا وراء سبب عدم استقراره فقرر
هجرتنا منذ عامين إلى بلد بعيد ليجمع مالا ويرسل لنا منه الكثير..
انتقلنا من بيتنا إلى بيت الجدة ثم إلى بيت العم.. ثم إلى بيتنا نعيش
بمفردنا أنا وشقيقتى.. لم يهتم بنا أحد، ولم يفزع أقرباء الدم خشية
أن نبسئ استغلال حرية لم نسع إليها.. وأسأنا استغلالها.. أرسلت
إلى والدى أخبره أنني سأتزوج وجاء رده متأخرا بالرفض بعد أن
كنت قد تزوجت.. سئمت حياتى وكرهت نفسي وازدادت كراهيتى
لأبى وازددت حنقا على أمى.. إنسانة وحيدة أشعر بالشفقة تجاهها
هى أختى التى انزلت أخيرا إلى نفس طريقى..

ومشكلتى الآن كما تراها على وجهي.. وأنا نصف نائمة لا أرحم
وجهي من أظافرى التى أتعمد إطالتها.. لقد تشوه وجهي تماما
وجراح التجميل رفض مساعدتى إلا بعد أن أعالج نفسيًا.

قالت :

رقم (٦) يشير إلى ترتيبي بين أشقائى وشقيقاتى.. ست أناث وثلاثة ذكور.. ولأن الحمل كان ثقيلًا قرر والدى بعد ولادتى بشهر أن أعيش مع جدتى وخالى الأعزب.. تزوج خالى وماتت جدتى فانتقلت وأنا فى السادسة للحياة مع إحدى خالاتى التى حرمت من نعمة الأطفال.. وأنا فى العاشرة قرر والدى فجأة أن أنتقل معهم.. لم يرحب بى أخوتى وأخواتى.. ولمست برودا فى مشاعر أمى التى لم أشعر يوما أنها أمى.. أصابنى القىء لمدة سنة كاملة حار فيه الطب.. وأخيرا نصح طبيب بعودتى إلى بيت خالتى فتوقف القىء..

كان القىء يعاودنى فقط حين يجىء والدى لزيارتى فى بيت خالتى وأتوجس أنه قد يبتزعنى مرة أخرى منها.. سافر زوج خالتى فى إعاره، وكان على خالتى أن تلحق به، وكان على أن أعود إلى بيتى.. أى بيت أمى وأبى.. منذ ذلك الحين وكنت فى الرابعة عشرة من عمرى وحتى اليوم وأنا فى الخامسة والعشرين لم تتوقف أصابعى يوما عن العبث فى وجهى حتى الادماء.. وكما ترى فإن وجهى أصيب بتشوهات لا خلاص منها ولا رجعة عنها.. تنتابنى الحالة كلما جلست وحيدة.. عزائى فى وحدتى عبث أصابعى فى وجهى.. وحين لا أفعل أشعر بالاختناق.

ثلاثة نماذج لحالة إيذاء الذات عن طريق «تجريح الوجه» والخط المشترك بينها وهو إفتقاد الحب أو الشعور بالتهديد بفقد الحب.. وجذور الحالة ترجع إلى مرحلة الطفولة.. وهى لا تختلف فى مضمونها. هناك تشابه فى المضمون فى حالة «فقدان الشهية العصبى» وحالة «السمنة».. والجسد هنا هو ضحية الوجدان المضطرب.. جسد المريض نفسه هو الهدف القريب الذى يصوب ناحيته نيران العداة بغية تحطيمه.. ولكن فى الواقع ليس الهدف الحقيقى.. بل هو بديل الهدف المقصود بهذا العدوان. والمشكلة تبدأ

حين لم تلب الاحتياجات النفسية للطفل.. فكبت مشاعره ولكن ظل هناك صراع يحوم حولها في عقله الباطن.. حين كبر وتعرض لإحباطات مشابهة تملكت جراحه القديمة وتضاعفت صراعاته واشتعلت أعصابه بقلق عصائى أحدث توترا لا يهدأ إلا إذا انتزع شعره أو جرح وجهه أو أكل بشرائه أو امتنع تماما عن الطعام.
فكيف يكون العلاج ؟

العلاج يبدأ بأن نبحث عن الجذور العميقة لاحتياجات هذا الانسان التى احبطت.. نبحث عن أسباب الاحباط والصراعات التى عاشها وكتبها.. العلاج فى أن نكشف الغطاء وننظر إلى الداخل.. لو ساعدنا المريض على أن يرى أعماقه فهذه هى بداية الطريق.. البداية فى أن يتكون لديه وعى بالأسباب التى تختفى وراء هذا العرض.. فى أن يعرف أنه يعتدى على ذاته إنه إنسان محبط لعدم اشباع رغباته واحتياجاته الأساسية فعاش وهو يغلى من الداخل بصراعات سببت له قلقا.

والعلاج لا يهدف إلى إزالة القلق ولكنه يهدف إلى تقوية دفاعات المريض ضد القلق . أى أن يقوى على السيطرة.. العلاج يهدف إلى ترتيب مقابلات للانسان مع ذاته فتحدث مواجهة واقعية تضمن للانسان الرؤية الصحيحة لهذا الواقع وبالتالي يبدأ فى تكوين دفاعات صحيحة وضحية.. وبذلك يستطيع الانسان أن يسيطر على قلقه ويصفى صراعاته ويحقق تكيفا مجزيا له يشبع احتياجاته الوجدانية.

أسرار
البيوت
في
العيادة
النفسية

الجزء
الثاني

طبّق الطمّام :
إغراء لا يقاوم !

أزواج
وزوجات
أمام
الطبيب
النفسى



أنا ضعيفة أمام طبق الطعام!
إنه يناديني .. سواء كنت جائعة أو لا أشعر بالجوع.
كل ما في الأمر أن مقاومتي تنهار أمام طبق الطعام.. وهكذا
أقبل عليه والتهمة..

هذه هي مشكلتي التي حاولت مرارا أن أحلها.. وفشلت.
وأخيرا .. قالوا لي إن بداية العلاج ستكون في العيادة النفسية!!
بقدر ما يمتلك مريض «فقدان الشهية العصبي» من إرادة وقوة
على الامتناع عن الطعام، فإن مريض السمثة يفقد مثل هذه الإرادة..
تذهب السيدة البدينة إلى الطبيب لكي يضع لها رجيمًا غذائيًا، وتلج
عليه في أن يكون قاسيًا.. وتتناول العديد من الأدوية لتساعد على
خفض وزنها.. ويتحقق لها بعض ما أرادت.. وينخفض وزنها
تدريجياً.

ولكنها فجأة تفسد كل شيء وتلتهم في مرة واحدة كميات هائلة
من الطعام، ثم تهمل لفترة هذا الرجيم ويزداد وزنها مرة أخرى.. ثم
تعود للطبيب أسفة ومتبرمة من وزنها راجية مرة أخرى وواعدة بأن
تلتزم هذه المرة.

تتكرر هذه اللعبة عشرات المرات حتى تيأس لا من الرجيم، ولكن
من نفسها.. وتعترف بأنها لا تستطيع أن تقاوم رغبتها العارمة في
الطعام وخاصة أصنافا معينة معروف أنها تسهم في زيادة الوزن..
بعد عدة محاولات من الطبيب المختص يمثل هذه الحالات يقوم
بتحويلها للطبيب النفسي.. وتبدى السيدة أو الفتاة تعجبها.. فما
علاقة الطب النفسي بالسمثة.

ولقد أكدت الأبحاث أن الانساعة البدينة تتمتع بسمات نفسية
خاصة، وإن الزيادة في الوزن تحدث نتيجة لعوامل نفسية.. ومن هنا
تأتي مقاومة المريضة لخفض وزنها.. قبلالرغم من أنها تظهر إخلاصا

ونية صادقة، إلا أن كل شيء ينهار فجأة.. ومن النادر أن تنجح إنسانة بدينة في خفض وزنها رغم ضيقها وتبرمها من شكلها.. قد تنجح أحيانا ويصل وزنها إلى حد معقول : وتنظم في التزامها بنظام غذائي معين. ولكن فجأة أيضا تخل أخلاقا شديدا بهذا النظام، فتأكل ما تريد بنهم شديد.

ومعظم البدينات يؤكدن ويقسمن أنهن يأكلن أقل القليل، وبالرغم من ذلك يزداد وزنهن .. ولكن الحقيقة غير ذلك. فالمشكلة دائما هي فقدان السيطرة التامة وعدم القدرة على مقاومة الرغبة العارمة في الطعام .. انه ضعف إرادة كامل أمام الطعام.

وتعود إلى مريض فقدان الشهية العصبي فنراه يتمتع بإرادة حديدية أمام الطعام .. بينما مريض السمنة ليست له إرادة أمام الطعام.

المريض الأول: ينبغي المحافظة.. ولهذا يمتنع عن الطعام..

والسؤال هنا: ماذا ينبغي مريض السمنة إذن ؟

الاجابة : انه لا ينبغي شيئا ، ولكن الواضح أن السمنة ربما تحقق له توازنا نفسيا يحتاج إليه ، أو تحميه من انهيار نفسه .. أى أن السمنة تؤدي وظيفة لصاحبها أو لصاحبته .. ولهذا يتشبث بها رغم انه يصرخ بعقله الواعي ويلعن بلسانه ، أنه يكره شكله البدني ويسعى جديا للبحث عن وسائل لعلاج سمته.. ولكنه يفشل .. إذن هناك قوى أخرى تمنعه من تحقيق ما يريه عقله الواعي وما ينطق به لسانه .. هذه القوى موجودة بكل تأكيد في عقله الباطن .. في اللاشعور.. قوى تبغى الحفاظ على هذه السمنة من أجل الحفاظ على صاحبها وحمايته من الانهيار النفسى.

وهل يحدث اضطراب نفسى إذا بدأ الرجيم يؤتى ثماره ؟
كل الأبحاث أكدت ذلك.. ففي أثناء فترة الرجيم، ومع الانخفاض

الملموس في الوزن، تكتئب المريضة.. تشعر بهبوط في معنوياتها وفقدان للرغبة وبرود الاهتمامات.. وتضجر أيضا بحزن لا سبب له ..
● تقول لي مريضة : في البداية كنت فرحة لنجاح خطة الرجيم.. انخفض وزنى بشكل سريع غير متوقع.. وجدت استحسانا وتشجيعا من الأهل والأصدقاء والطبيب، ومما زاد من حماسى وإصرارى.. فرحت أكثر باسترداد إرادتى السلوية.. وفجأة داهمنى حزن مخيف.. وكأن الكيلو جرائمات التى فقدتها جسمى تجمعت وتكومت فوق صدرى.. أزعجنى اختفاء الفرحة.. حاولت أن استجمع نفسى واصطنع فرحة كلما وقفت فوق الميزان الذى كان يشير إلى نجاحى، ولكنى كنت أشعر بالتبدل وكأن الأمر لا يعينى، وأن سيدة أخرى هى التى ينخفض وزنها ويتحسن شكلها .. لم أعد أرى أن وجهى بدأ يسترد جماله الخقيقى الذى كان مختفيا تحت الشحوم .. بل كنت أراه وقد اكتسى بالغم.. وأحسست اننى أعيش فى فراغ.. كأننى أعيش فى صحراء لا يتحرك فوقها إلا جسدى .. فشعرت بالعزلة .. وانتابتنى شتى المخاوف .. فأدركت اننى عرضت نفسى للضياع .. فاندفعت بجنون نحو الطعام .. أكلت بلا وعى .. يداى وعينائى وشفتائى ولسانئ وحلقئ.. الجميع اشترك فى مظاهرة حب وترحيب بالطعام.. كأننى قابلت حبيبا هدى الشوق إليه.

فتشبثت به لا أريده أن يبتعد عنى .. حينئذ فقط بدأ الهدوء يعود إلى نفسى الحزينة، ليخفف من حزنها، ويقضى على عزلتها، ويذيب وحدتها.

: انقذنى الطعام من الضياع.

● قالت لي مريضة أخرى :

منع كل كيلو جرام أنجح فى زحزحته بعيدا عن جسدئ أشعر بمزيد من الثقة والطمأنينة، واتطلع بشغف إلى المرأة، وأتمنى أن أغمض

عيني ثم افتحهما وقد عدت رشيقة.. بهية الطلعة.

وبدأ الحلم يتحول إلى حقيقة واقعة حين اهتزت ملابسى فوق جسدى مظنة انها لم تعد تصلح لهذا الجسد الذى ابتعد عنها إلى الداخل، تاركا بينه وبينها مسافة مرئية، تؤكد أن قدرا كبيرا من الكيلو جرامات قد تم التخلص منه.

في هذه اللحظة انتابتنى حالة قلق عيفة.. شعرت بالتشبث وعدم القدرة على التركيز.. أصبحت عصبيتى واضحة للجميع.. لم أكن أستطيع الاستقرار فى مكان واحد واستعصى على النوم.

المؤلم أننى أصبحت عدوانية أعامل الناس بقسوة وجفاء، حتى المقربون إلى نفسى.. المؤلم أكثر أننى شعرت بروح العداء تملأنى ضدهم بون ذنب اقترفوه فى حقى. كدت أن أنهار.. كساد القلق أن يحطمنى ... ويحس غريزى عرفت أين الدواء.. فاندفعت بدون روية إلى الطعام، وأكلت كل ما حرمت منه على مدى شهر.. وفى مرة واحدة أكلت من الكم ما أكلته على مدى هذا الشهر.. زال قلقي وكأننى ابتلعت كل المهدئات الموجودة فى العالم.

إنن هذه هى الحالة النفسية التى مر بها مريض السمنة حين يتفجج الرجيم الغذائى فى خفض وزنه.. هذه هى الأعراض النفسية التى يشعر بها أثناء اتباعه للرجيم :

الاكتئاب .. القلق .. زيادة العدوان والعداء .. المخاوف .. الاحساس بالوحدة والعزلة والفراغ.. وأحيانا زيادة الرغبة الجنسية وخاصة عند النساء.

الطعام كان الدواء الذى أزال الاكتئاب والقلق.. وهذا يقربنا إلى فهم أهمية الطعام بالنسبة لمريض السمنة.

والقصة تبدأ منذ الطفولة.. وربما فى الأيام الأولى بعد الولادة.. فأول علاقة بالأم كانت عن طريق الفم.. وهو بعد لا يدرك ذاته

ولا يدرك انه انتقل من الرحم إلى العالم الخارجى تحركت شفثاه بحثا عن ثدى أمه.. تتحرك الرئتان فى البداية لاستنشاق أول نسمة هواء.. ثم تتحرك الحنجرة لإصدار أول صرخة بكاء احتقالا بنفسه لمحيته.. ثم بعد ذلك تتحرك الشفتان.. وربما يجىء تحريكهما استجابة لحركة داخلية غير مرئية من معدته.. وحين يلتقط الثدى بشفثيه يكف عن البكاء.. ثم إذا بكى بعد ذلك تحرك الثدى نحو فمه ليجده جاهزا لاستقباله.. ويصبح الطعام بذلك أحد العوامل الرئيسية والأولية التى تشكل العلاقة العاطفية بين الأم والطفل.. ويحتل الطعام مركزا هاما فى إزالة التوتر عند الطفل.. ويصبح أحد وسائل مكافأته لتأكيد سلوكه الحسن.. وفى كل المواقف التى يعانى منها الطفل لأى سبب، يكون الطعام هو الوسيلة لإزالة المعاناة.. ومع الوقت لا يستطيع الطفل أن يفرق بين حالة الجوع وبين الحالات الوجدانية المختلفة.. ففى كلتا الحالتين يجد أمامه الطعام.. الطعام لإزالة جوعه، والطعام لمعالجة الحالة الوجدانية التى يمر بها..

وبعد ذلك حين يكبر وحين يشعر بالخوف أو الاكتئاب أو الاثارة، يصبح هو الوسيلة لتهدئة هذه المشاعر.. بينما المفروض أن يكون الاحتياج التلقائى هو الاتصال الانسانى.. وبذلك يحل الطعام محل الاتصال الانسانى لتخفيف مشاعر الخوف والاكتئاب والاثارة.. التلبية الوجدانية تصبح عن طريق الطعام.. بينما المفروض أن يكون دور الطعام هو تلبية أحاسيس الجوع.

ذلك تؤكد له لى المريضة حين تقول :

تزداد شراحتى حين أشعر بالاكتئاب.. حين تضطرب مشاعرى باليأس فيمتلكها.. فيحجب عنى الأمل فى أى شىء حتى ازهد الأمل ذاته ثم أنكر وجوده.. فتتراخى كل أجزاء جسدى إلا معدتى التى تموء وتتلوى.. فأكل فلا أشعر بشبع فأظل أكل وأكل.. يعبر الطعام من

نفسى إلى خلقى إلى معدتى دون أن أشعر بأى تذوق.. فلا أحد يتذوق الدواء، إنما يقبّله من فمه.

وربما كان سبب عدم قدرتى على التذوق هو اننى لا أكون فى حالة وعى الكاملة.. إذن تلهذى لا يكون من فمى .. وإنما من معدتى حين تمتلئ وتمتلئ، وكأن مركز مقاومة الاكتئاب قد انتقل إلى معدتى.

● وتقول لى مريضة أخرى :

أعيش فى بيت يزخر بأفراده.. أعمل فى مكان يشبه خلية النحل.. ولكنى أشعر بالوحدة.. فانطلق إلى ناد يختنق بأعضائه.. لكن يتأكد احساسى بالوحدة.. فأشعر كأن شيئاً يزأر داخل.. شيئاً يقرص معدتى فأشعر بالأم لا يهدئه إلا الطعام.. ومن عجب ان ألامى حين تختفى بيتعد عنى الاحساس المريع بالوحدة، وكأننى وجدت فى الطعام صديقاً ودوداً يؤنس وحدتى.. أشعر به ككائن يقيم حواراً معى.

● تقول سيدة أخرى :

حين اصطدم فاثور.. حين تنزل أخبار سيئة على سمعى، فتثقل رأسى وترهق نفسى.. حين تتوتر أعصابى انتظارا وتحفزاً.. حين تهنز الأرض تحت أقدامى فتتقدم ثقتى بنفسى.. فى هذه الأحوال لا يهدأ من ثورتى وقلقى وارهاقى إلا الطعام الذى أحقنه كمخدر لأعصابى، وكأن معدتى أصبحت المركز الذى يسيطر على الجهاز العصبى.

● الطعام فى هذه الحالات كان علاجاً وتهذئة لآلام الاكتئاب والوحدة والاثارة.

كيف اكتسب الطعام هذا الدور؟

كيف ارتبط بالاضطرابات الوجدانية التى قد يمر بها الانسان وأصبح أسلوباً للتعامل مع هذه الاضطرابات؟

لعل هذا الارتباط موجود على مستوى العقل الباطن.. ارتباط تكون في مرحلة مبكرة من العمر.. وأكبدته الأم في علاقتها بطفلها.. تلك العلاقة التي كانت محكومة بقلق الأم وعدم إجساسها بالأطمئنان، ونوازعها النرجسية التي دفعتها إلى إطعام طفلها ليصبح في حالة تشعر فيها بالفخر وتمتدح من أجلها.

وحين يكبر الطفل يصبح الطعام وزيادة الوزن يمثلان دفاعه الحصين ضد مشاعر الاكتئاب والقلق والشغور بالوحدة وحالات الاثارة.

ولذا تصبح كل محاولة لتخفيض الوزن بمثابة تحطيم لهذه الدفاعات مما يعرضه للكآبة والقلق.

والتحليل النفسي يرجع السمنة والافراط في الطعام إلى صدمة في المرحلة الفمية حين كان الطفل يتعامل مع العالم ويدركه من خلال فمه.. حين كانت اللذة لا تأتيه إلا من الفم.. إذا تعرض الطفل لصدمة في هذه المرحلة في صورة أهمال ونبد وجرمان أو حتى في صورة ارضاء زائد عن الحد، فإن هذا الطفل يتثبت عند هذه المرحلة.. أي يقف نموه النفسي عند المرحلة الفمية.. ويظل يتعامل ويتفاعل مع العالم من خلال فمه، ولا يستشعر أي لذة أو أي طمأنينة إلا من خلال فمه.. يصبح ما يلوكة الفم من طعام هو مصدر احتياجاته النفسية، وتصبح السمنة هي رمز القوة التي تحميه من الآخرين.

هناك تحليل آخر وهو أن مريض السمنة يعاني من خوف لا شعوري من إقامة علاقات اجتماعية.. انه يخشى الناس، ولذا يريد أن يتحاشاهم.. ولذلك فإن السمنة تبعده عن الناس، وتبعد الناس عنه.

وعلى مستوى أعمق من ذلك، فهناك رغبة في تحاشي الجنس الآخر بالذات وعدم الرغبة والخوف من إقامة علاقة جنسية معه.. وهنا

يأتى دور السمنة فى إعاقه قيام مثل هذه العلاقة.

ولقد أجريت دراسات عديدة عن شخصية الانسان البدين.. وكلها اجمعت على أن هذه الشخصية تتمتع بهذه الصفات : حب الذات والعناد وعدم القدرة على إقامة علاقات اجتماعية مرضية ومثمرة، وعدم النشاط والسلبية والحساسية الزائدة، وعدم النضج.. ولكنها تقسم بالنكاء المرتفع.

مریضة السمنة تعلم انها وهى تأكل وتاكل فإنها تزيد الأمور تعقيدا.. انها تلحق الضرر بنفسها عضويا بازدياد العبء على القلب، وتتصلب الشرايين، ويرتفع ضغط الدم، وينهك الكبد، وتتآكل المفاصل.. تعلم أن يزيد من تشويه صورتها فتتعرض للنقد وربما للسخرية ممن تجردت مشاعرهم من الذوق.. تعلم أن ذلك يزعج أمها ويقلل من فرصة الارتباط العاطفى، أو أن ذلك يضايق زوجها..

تعلم انها تسهم فى خلق جو من المشاعر السلبية حولها.. تعلم أن ذلك يضرها فى عملها.. تعلم أن ذلك يفسد علاقاتها الاجتماعية.

ورغم كل ذلك فإنها تأكل وتاكل.. وكأن احساسها تلبد لياسها من استخدام ارادتها.. قد يشعر من يحيطون بها بالألم من أجلها والشفقة عليها، ولكنها لا تشعر بنفس القدر نحو نفسها.. وإذا أظهرت ألما فأنه يكون سطحيا، وكأنها تتلذذ بتحطيم نفسها وتعذيبها، أو بتعذيب من يهمهم أمرها كالأم أو الحبيب أو الزوج.

انه انتحار لا شعورى.. وفى هذه الحالة يكون المريض محتاجا إلى من يحميه من نفسه.. يحميه من تحطيم ذاته.



أسرار
البيوت
في
العيادة
النفسية

الجزء
الثاني

الجـوع ..
هو الدواء .. !

أزواج
وزوجات
أمام
الطبيب
النفسى

أخيرا.. انتصرت على جسدى لتبدأ معركتى مع أهلى !

لقد كان جسمى السمين سبب تعاستى.

وعرفت الحل :

الجوع هو الدواء . !

وانتصرت فى معركتى .. ونقص وزنى .. لتبدأ معركتى مع أهلى !!

انهم يحاولون تدمير حياتى : بالطعام

وقاومت .. ورفضت .. وابتدأ الصراع .. لينتهى فى عيادة

الطبيب النفسى.

بزوايا حادة برزت كل عظام وجهها، فبدت عيونها غائرة ولكنها تلمع بنظرات تحد ورفض مسبق.. ورغم تخاذل الكتفين وتقوس الظهر وانسحاب الصدر إلا انها جلست بكبرياء معتدة بمظهرها الذى حرصت على أناقته.

سأرفض أى دواء تصفه لى فانا لست مريضة.. أنا سليمة عقليا وجسديا.. وأما هذه السيدة (أشارت إلى أمها) فهى التى تحتاج إلى علاج لعقلها.. تريد أن تشوه جسدى بالطعام وأنا لن أسمح بذلك.. تريدنى أن أكون متضخمة مثلها ليسخر الناس منى وينفروا من شكلى. لن أحميد عن نظام التغذية الذى قهرته لى نفسى.. ويفضله وصلت إلى هذا الوزن المثالى.. أموت ولا يزداد وزنى جرأما واحدا.. أشعر بسعادة بالغة حين أنظر الآن إلى المرأة.. هكذا يجب أن أكون.. أبدو رشيقة متناسقة.. إذا كنت ترى غير ذلك فهذه مشكلتك .. هكذا أشعر بالوفاق مع نفسى.. هكذا تهدأ نفسى.. كنت من قبل أكره نفسى وأشمئز من جسدى.. كنت أخجل منه.. أتوارى عن الناس.. وقتها حقا كنت محتاجة لمساعدة من طيب نفسى.. ما أسوأ أن يكره الانسان جسده.. ما أسوأ أن تمشى وتتحرك وروحك يحتويها جسد يثير نفورك.. وكانت عيون الناس تحمل كل المعانى المخجلة.. كان

جسدى يقف حاجزا بينى وبين الناس.. كان يمنع عنى حبهم
واهتمامهم.. تظن أننى كنت أخشى النفور الجنسي من الشباب.. كلا
وبكل صدق.. إن هذا الأمر لا يعنينى بالمرّة.

أنا الآن راضية عن نفسى.. مشكلتى الوحيدة هى أمى.. تحاول أن
تهدم كل ما بذل من جهد.. تريدنى أن أحشو معدتى بالطعام كما
تفعل هى ليزداد وزنى.. إننى أعتبرها عدوتى لأنها تريد قتلى
بمحاولاتها المستميتة معى. لقد كرهت جسدى حين كنت أنظر إليها،
فأرى بطنها متدلية على مسافة منها.. كنت أموت غيظا وقلقا حينما
أرى سيدة تسبقها بطنها.

وكنّت وما زالت أعجب كيف تقبل إنسانة الحياة وهى على هذه
الصورة.. لكى يحب إنسان الحياة يجب أولا أن يحب نفسه.. ولكى
يحب نفسه يجب أن يرضى عن شكله.. يجب أن يقبل جسده الذى
يحمل أفكاره ومشاعره.. بدون المرأة فإنك تكون علاقة مع جسّدك..
تراه وتشعر به وتحدد موقفك منه.. إنه مرسوم فى عقلك ولهذا فإنك
تراه وتدركه فى كل لحظة.. فإما أن تقبله وترضى عنه.. وإما أن تكرهه
وتود الخلاص منه.

يكفينى ما أتناوله الآن من طعام.. أمى تراه غير كاف.. وأنت تراه
مهلكا ولا يكفى طفلا رضيعا.. أنت ترانى نحيفة إلى الحد الذى
يهددنى بالأمراض.. وأنا أشعر بنفسى ممتلئة طاقة وحيوية.. أنت
ترانى دميمة لنحافتى وأنا أرى نفسى جميلة لرشاقتى.. والأهم
ياسيدى هو كيف أرى أنا نفسى.. إنه جسدى أنا وليس جسّدك أو
جسد أمى.. إنه قرارى لا قرار أمى.. محاولات أمى سأقابلها بالعنف
ويكفى ما نالنى منها.. ومحاولاتك ستبوء بالفشل لأنى لن أزيد من
طعامى ولن أتناول أى دواء..



●● هي فتاة جامعية في العشرين من عمرها.. جاءت بها أمها إلى العيادة النفسية بعد محاولات استمرت شهورا.. امتنعت عن الطعام تقريبا منذ أكثر من عام.. انخفض وزنها من ٦٥ كجم إلى ٢٨ كجم في خلال هذا العام، فصارت كمومياء اكتست عظامها بطبقة من الجلد.. الحالة بدأت بتذمرها من وزنها الزائد.. أصبحت تكثر من النظر في المرأة.. مزقت كل صورها.. بحثت باصرار عن صور طفولتها.. هالها سمنتها الزائدة وهي طفلة.. ومن هنا بدأت توجه عدوانها تجاه أمها واتهمتها بأنها أفرطت في إطعامها وهي طفلة حتى صارت بهذا الحجم.. أصبحت لا تكف عن مهاجمة أمها. ولأول مرة بدأت تنفوه بالفاظ جارحة وبشكل علني أصبحت تنتقد أمها بسبب سمنتها.. ثم بدأت تمتنع عن الطعام.. لم تحاول استشارة طبيب أو اتباع نظام معروف لخفض الوزن وإنما توقفت عن الطعام تماما إلا من الماء وقليل من عصير الفواكه..

وانزعجت الأسرة لهذا القرار المفاجيء وفشلت كل محاولاتهم معها لاقناعها بخطورة ذلك على صحتها.. ومع الانخفاض السريع في وزنها انقطعت الدورة الشهرية تماما.. ورغم الانخفاض الحاد في وزنها إلا أنها كانت كثيرة الحركة والنشاط.. وبإل إن نشاطها قد زاد عن ذي قبل.. والشئ المثير للدهشة أنها كانت من وقت لآخر تندفع لتلتهم كميات كبيرة من الطعام، ولكن سرعان ما تفرغ كل محتويات معدتها بدفع أصبعها في حلقها لتتقاها ما أكلته..

ربما زاد قلق أسرتها أنها أدمنت تناول العقاقير المسهلة لكي تسرع من خفض وزنها. وساءت العلاقة بينها وبين أمها بوجه خاص، وكأنها كانت تتحدى أمها وتعاقبها بسلوكها هكذا..

أصبحت عنيدة إلى حد الشراسة.. تتمادى في طلباتها وتصمم على الحصول على كل ما تريد حتى وإن أرهق ذلك أسرتها.. وكانت ثورتها

عنيفة إذا حدث تلكؤ في الاستجابة لطلباتها المبالغ فيها.. أصبح هناك صراع دائم بينها وبين أمها يدور حول الطعام.



●● هذه الفتاة تعاني من حالة تعرف في الطب النفسي باسم «فقدان الشهية العصبي».

والحالة ليست فقداناً للشهية بقدر ما هي رفض للطعام.. فهي تشعر بالآلام الجوع ولكنها بإصرار قوى مثير للدهشة تمتنع تماما عن الطعام إلا من كميات ضئيلة للغاية غالبا ما تكون في صورة سوائل.. وقد يكون وزنها معقولا ، ولكنها ترى نفسها سميكة.. إذن المشكلة هنا في إدراكها ومفهومها لصورة جسمها.. أى أن هناك خللا في صورتها عن نفسها.. صورة مستقرها المخ.. الانسان يرى نفسه من خلال هذه الصورة المرسومة في المخ.. فهكذا ترى هي نفسها.. ولهذا فهناك اختبار يجرى في مثل هذه الحالات يؤكد هذا المعنى.. وهو أن نطلب من المريض أن يرسم نفسه.. فإذا بالصورة التي يرسمها لنفسه تأتي أكبر من حجمه الحقيقي.. وهذا يوضح كيف يرى هو نفسه.. انه يراها أكبر من حجمه الحقيقي.. وبالتالي فحسب تصوره هذا فإنه يرغب في تخفيض وزنه.

كيف نصنف هذه الحالة؟ هل هي مرض نفسي أم مرض عقلي؟ إلى الآن لا يوجد إتفاق .. فبعض العلماء يرى أن فقدان الشهية العصبي هو عرض هستيرى.. والبعض يراه عرضا لاكتئاب.. وفريق ثالث يعتقد انها حالة عقلية تعالج مثلما يعالج مرض الفصام..

بعض الأبحاث العضوية أكدت وجود خلل في منطقة معينة في المخ تعرف باسم «الهيپوثلاموس».. وبعض الباحثين وجدوا خللا في الغدد التي تفرز الهرمونات.. ولكن يعتقد أن ذلك يحدث من أثر الامتناع عن الطعام.. ومن العلامات المميزة والمصاحبة لهذه الحالة انقطاع

الدورة الشهرية وظهور الشعر في أماكن غير معتادة في الجسم.
ونسبة حدوث هذه الحالات في الفتيات أكثر بكثير من حدوثها في
الذكور.. وهي عادة تظهر في سن المراهقة أو بعدها بقليل.. ولكنها
لا تصيب البالغين أو كبار السن.

التحليل النفسى له وجهة نظر في مثل هذه الحالات.. السمنة
معناها الحمل.. والحمل ينشأ عن علاقة جنسية.. إذن هذه الحالة
تظهر نتيجة لخوف لا شعورى من العلاقة الجنسية.

العلاقة الجنسية تشكل تهديدا فظيعا بالآلم والاصابة والتشويه..
كما أن هذه العلاقة تمثل الخطيئة والإثم.. إذن فهي علاقة محاطة
بالصراعات.. ولأنها تؤدي إلى الحمل الذى يجعل الأنثى تبدو في حجم
متضخم وخاصة في منطقة البطن.. فإن نفورها ينمو وينقل إلى
خوف من السمنة.. ومحاولاتها لتخفيض وزنها هو درء الخطر
والشبهة عن نفسها.. إذا أصبحت نحيلة فهذا يؤكد أنها ليست حاملا،
وأنها لم تتعرض لتلك العلاقة مع الأم بالذات.. فالأم هى التى تجمل..
وهذا الحمل يؤكد حدوث تلك العلاقة الجنسية.. إذن الأم تذكرها
باستمرار بأن هذا يمكن أن يحدث لها.. فإذا دفعتهأ أمها لتناول
الطعام فإن هذا يعنى أن أمها تريد أن تعرضها لنفس المصير.

وبعض الحالات يصاحبها عرض غريب.. فبينما تمتنع المريضة
عن الطعام فإنها تجبر أمها على تناول الطعام، وخاصة الأصناف التى
تسبب السمنة وكأنها بذلك تعاقب أمها.

المثير للدهشة في مثل هذه الحالات النادرة هو تلك القدرة الفائقة
للمريضة في الامتناع عن الطعام شبه الكامل لمدة طويلة. وهذا
ما لا يقدر عليه أى إنسان سوى نفسيا وعقليا.. ومعنى الانسان
السوى أنه يتمتع بالارادة.. بالقدرة على اتخاذ موقف.. بالقدرة على
السيطرة.. بالقدرة على المثابرة والاستمرارية.. إلى مدى يستطيع هذا

الانسان السوى أن يمتنع عن الطعام لمدة طويلة؟ إن ذلك نراه فقط في حالات الاضراب عن الطعام من أجل الدفاع عن مبدأ أو احتجاج ضد ظلم وقع على الانسان ولا يملك أى وسيلة أخرى للدفاع أو الاحتجاج..

إذن الايمان بمبدأ أو فكرة.. والنضال من أجل الحق، وضد الظلم، يجعل إرادة الانسان من حديد.. يجعله يطبق ما لا يحتمل من عذاب وإن هدد ذلك حياته .. إنها تلك الشحنة العاطفية التى تتوهج داخل الإنسان ، ليؤكد أنه إنسان صاحب مبدأ .. بذلك يؤكد أنه إنسان .. بذلك يعلو كثيرا فوق غرائزه المادية الملحة في كل لحظة .. لا شيء يطفىء الغرائز أكثر من عاطفة قوية .. فالإيمان حالة وجدانية يتولد عنها طاقة تشكل إرادة الإنسان وتجعله قادرا على استخدامها في أقوى صورها وإلى حد السيطرة التامة على الطاقات البيولوجية ..

إذن الغلبة للوجدان عند الإنسان المؤمن .. والهزيمة التامة تكون للغرائز .. هنا يسعد الإنسان بأروع الأحساس بذاته والإحساس بفاعليته وأنه صاحب موقف لا يلين ولا يحيد عنه ..

هل هذا يحدث أيضا في تلك الحالة المرضية..؟

لو تأملنا سلوك مريض فقدان الشهية العصبى نرى أنه اتخذ موقفا .. موقفا يتسم بالصلابة التامة.. لا يحيد ولا يتزعزع عنه .. إنه صراع من أجل السيطرة استطاع أن يحقق فيه انتصارا .. إنه جهد لا يلين من أجل النحافة .. وتحقيق له ما أراد .. وبذلك تحقق له الإحساس بالذات والإحساس بالفاعلية .. وأنه استطاع أن يسيطر على أكثر الغرائز إلحاحا وقوة ..

هل هذا يحدث أيضا في تلك الحالة المرضية..؟

لو تأملنا سلوك مريض فقدان الشهية العصبى نرى أنه اتخذ موقفا.. موقفا يتسم بالصلابة التامة. لا يحيد ولا يتزعزع عنه.. إنه

صراح من أجل السيطرة. استطاع أن يحقق فيه انتصارا.. من أين له هذه القوة وهو المريض؟

لعل ذلك يكشف عن مدى أهمية وتأثير صورة الجسم المختزنة في المخ، وعن مدى ارتباط هذه الصورة بوجود الإنسان.. الطبيعى أن تكون هذه الصورة المرسومة بالداخل مطابقة للواقع.. أى تكون الصورة التى تراها عيون الناس هى نفس الصورة التى تراها أنت بالمرآة، وتكون مطابقة للصورة المرسومة فى الداخل.. وبذلك يكون إدراكك للواقع سليما.. أى أنك مرتبط بالواقع.. وهذا دليل السلامة العقلية..

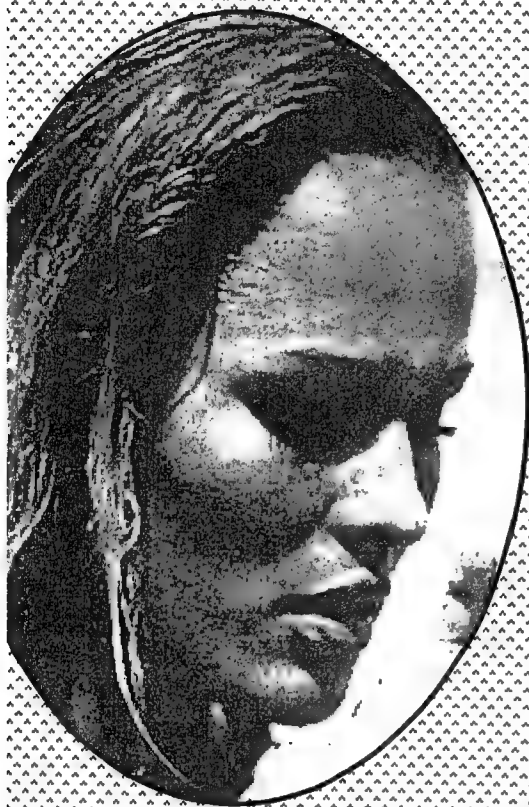
قد تكون غير سعيد بهذه الصورة كما فى حالة السمنة الزائدة أو النحافة الزائدة أو الطول الشديد أو القصر الشديد.. وقد تحاول أن تعدل فى شكل جسمك — إذا أمكن ذلك — ولكن سلوكك سيكون داخل الإطار الطبيعى نظرا لارتباطك بالواقع.. فإذا أردت تخفيض وزنك نظرا للسمنة فإنك ستتوقف عند حد معين.. وستدرك أنت هذا الحد بشكله الحقيقى الذى يدركه الناس..

أما فى حالة فقدان الشهية العصبى فإن الأمر يكون مختلفا.. فهناك عدم إدراك للواقع نظرا للخلل الذى أصاب الصورة الداخلية، والتى تتضخم أكثر من الحقيقة..

إذن هناك انفصال بين الحقيقة أو الواقع، وبين صورة الجسم المرسومة فى المخ.. وذلك يؤدى إلى الانفصال عن الواقع.. فإذا وقف أمام المرآة ليرسم نفسه جاءت الصورة متضخمة أكبر من الحقيقة، لأنه رسم الصورة الداخلية وليس الصورة الحقيقية التى يعكسها على سطح المرآة.. وهنا تتولد تلك الشحنة العاطفية الهائلة لتخلق صراعا من أجل السيطرة على شهوة الطعام.. فيرفض الطعام.. أى أنه

أخذ موقفا.. والإصرار على الموقف يحتاج إلى إرادة .. إرادة التحمل، وإرادة الاستمرار من أجل تحقيق الهدف.

هذا معناه أن مريض فقدان الشهية العصبي يسعى من أجل الاحساس بالذات، ومن أجل الاحساس بالفاعلية من خلال جهد لا يلين من أجل النحافة.. ويظل يذوى.. وقد يموت من شدة الضعف، ولكنه لا يلين ولا يتراجع.. تماما مثل الذى يدافع عن مبدأ أو يحتج بالاضطراب عن الطعام.. كلاهما له صورة.. كلاهما له هدف.. كلاهما تحرك وجدانه ليشكل إرادته.. كلاهما لا يثنيه حتى الموت عن تحقيق هدفه.. ولكن .. احدهما بطل والآخر مريض.. أو فلنطلق عليه المريض البطل.. ولنطلق على الحالة البطولة المرضية إن جاز هذا التعبير !



أسرار
البيوت
في
العبادة
النفسية

الجزء
الثاني

أنفى الكبير
يسد طريق حياتى !

أزواج
وزوجات
أمام
الطبيب
النفسى

في حياة كل إنسان .. مشكلة تعذبه.
وفي حياتي مشكلة عجيبة .. تسد كل الطرق أمامي..
وتحيطني بدائرة من العذاب.
إنها أنفي الكبير.
إنها عذابي الذي تلاحقه العيون.
ولذلك قررت أن أدخل غرفة العمليات لأستريح من هذا
العذاب.
ولكن .. بأمر الجراح .. ذهبت إلى الطبيب النفسي .. لتبدأ هذه
الرحلة مع أنفي الذي يعطل حياتي !!



● ● لا أفهم لماذا أرسلني جراح التجميل إليك..
طلب مني أن أرى طبيباً نفسياً قبل أن يوافق على إجراء جراحة
التجميل في وجهي.. وحين رفضت زيارتك هددني بعدم إجراء
الجراحة.. اجيء إليك وأنا غير مقتنع.. موافقتي على إجراء الجراحة
مرهونة بموافقتك، وأنا لا أدري ما علاقة الطب النفسي بمشكلة أنفي.
تسألني عن مشكلتي !! وأنا أجيبك بأن مشكلتي ليست لها علاقة
بتخصصك.. اهتماماتك هي مشاكل النفس، وأنا مشكلتي في أنفي..
فكما ترى فإن أنفي كبير.. هناك عدم تناسب بين حجم أنفي وحجم
وجهي.. ولذا فانا أريد جراحة لتصغير حجم الأنف..

جراح التجميل غير مقتنع.. يؤكد لي أن حجم أنفي طبيعي وأن
وجهي متناسق وأنه لا ضرورة للجراحة.. وحين واجه أصراري
حولني إليك.. وأنا أريد حكمك العادل.. أنظر إلى وجهي.. أنظر إلى هذه
الأنف الغليظة المتضخمة التي التهمت نصف مساحة وجهي.. أنظر
كيف أبدو دميماً قبيحاً.. أنت تجاملني ولا تريد أن تظهر اشمئزازك
من قبح وجهي.. ولكن هذا الاشمئزاز أراه في عيون كل الناس.. في كل

مكان أذهب إليه أرى كل العيون تعلق بوجهي.. أدير وجهي فتفاجئني نظراتهم من اتجاه آخر.. أصد نظراتهم برفع يدي لتحبب أنفي وأسفل وجهي.. فتتحول نظراتهم إلى سخرية.. أهرع إلى أماكن لا يعرفني فيها أحد.. ولكن من اللحظة الأولى يكتشفون مدى قبح وجهي.. لم أعد احتمل.. حياتي أصبحت جحيما.. لازمني الشعور بالكآبة.. توقفت عن دراستي.. لم أعد أستطيع التركيز.. لن أفعل أي شيء في حياتي إلا بعد أن تجروا لي الجراحة..

الجراحة أو الموت.. الموت أهون من أن أعيش قبيح الوجه.. الموت أهون من نظرات الاشمئزاز والسخرية.. الحياة لم يعد لها طعم.. لم أعد استمتع بأي شيء.. ما جدوى حياة تعيشها بوجه قبيح.. ما معنى حياة تعيشها وأنت محاصر بالعيون.. لقد فقدت قدرتي على رؤية وجوه الناس.. كل الوجوه تحولت إلى عيون.. صدقني إن الناس تحولوا إلى عيون.. أمامي وخلفي وعلى كل جانب.. عيون.. عيون..

وحين أقرر الهروب واعتزل الناس في بيتي تحاصرني عيوني أنا.. لا أترك المرأة لحظة.. لا أستطيع مقاومة الابتعاد عن المرأة.. وضعت مرآة في كل مكان في البيت.. وفي حقيبتى أيضا مرآة.. وحين تجهد عيناي أتحسس أنفي بيدي.. أصابعي أصبحت قادرة على الرؤية.. بل إننى أستطيع أن أرى أنفي وأنا مغمض العينين.. أراها غليظة منتفخة تتوسط وجها أصبح كرية الطلعة.

أموت غيظا وحنقا حين تؤكد لى أمى أن أنفى طبيعية بل انها صغيرة الحجم.. لعلها ملت من كثرة سؤالى.. حين أراها أمامي أطلب منها أن تنظر إلى وجهي وأن تقول لى كم يبدو مشوها بهذه الأنف العجيبة..

أصدقائى أيضا يؤكدون كلام أمى.. أنهم يرون أن أنفى متناسقة تماما مع وجهي.. يالهم من كاذبين.. ذهبت إلى أكثر من جراح

تجميل.. رفضوا جميعا اجراء العملية.. يروونه أنفا طبيعيا
لا شك أنهم خائفون من نتائج العملية ولهذا يكذبون.. آخر جراح
أرسلنى إليك.. وأنا الآن أطلب رأيك.. إذا لم تكتب تقريرا بالموافقة على
اجراء الجراحة فلن يكون أمامى إلا احد أمرين : اما أن أحاول أن
أجرى الجراحة بنفسى أو أن أقتل نفسى.

إذا كنت حقا طبيبا نفسيا فارحمنى.. أرجوك أن تقدر مدى عذابى.
أريد أن أشعر أننى طبيعى مثل كل الناس.. أريد أن أرضى عن
وجهى.. أريد أن أحب وجهى.. اننى أكره هذا الوجه.. وأصبحت أكره
صاحبه.. هل تفهم معنى أن تكره جزءا من جسدك.. هل تفهم معنى
أن تكره نفسك.. هل تفهم معنى أن ترفع رأسك إلى السماء فى كل وقت
غاضبا متسائلا : لماذا خلقت هكذا.. لماذا أنا بالذات.. أى ذنب اقترفته
حتى استحق كل هذا العذاب.

هل تقبل أن تعيش مع إنسان تكرهه؟ ما بالك إذن أن تكون كارها
لنفسك.. كيف تعيش مع نفسك وأنت تكرهها.. كيف يعيش إنسان
وهو رافض لجزء من جسده؟

لكى يقبل إنسان أن يستمر فى الحياة لابد أن يكون راضيا عن
جسده الذى يعيش ويتحرك به.. قد تقول لى كما قال غيرك من قبل أن
روح الانسان أهم من شكله.. ولكننى اختلف معك ومع كل الناس..
المهم فى البداية هو الشكل.. بشكك تقترب من الناس ويقتربون منك
وبذلك تنشأ معهم علاقة.. الناس يقبلون أو يرفضون شكك أولا..
فإذا رفضوا شكك رفضوا كل شئ منك.. وإلا لماذا خلق الله لنا
عيوبا.. خلقها لنا لنرى الشكل.. لنرى الجسد.. خلق لنا الأذنين
لنسمع الأصوات ونقول إن هذا صوت جميل وهذا صوت قبيح.. انك
تضع أصابعك فى أذنك لتحميمهما من الصوت القبيح.. وكذلك تفعل
العيون حين ترى منظرا قبيحا.

سوف تتحمل وزر موتى إذا لم تكتب لى التقرير بالموافقة.

● حاول أن تسمعنى قبل أن أكتب لك التقرير.. ولا تحاول أن تقاطعنى حتى وإن لم تتفق معى.. فأنا أعرف مقدا انك لن تقنع.. فالمشكلة انه لا يوجد عندك استبصار.. أى انك غير مستبصر بطبيعة حالتك واصلها.. لو كان عندك استبصار لاقتنعت بكلام أمك وأصدقائك وبكلام جراحى التجميل.. أنت تراهم جميعا كاذبين لأنهم يرون أنفك طبيعية.. إذن فأنت ترى أنفك بشكل مختلف.. كلهم وأنا معهم متفقون على شىء واحد، وهو أن أنفك طبيعية.. وهذه هى المشكلة.. والسبب فيها انك لا ترى أنفك بعينيك، وإنما تراها بمخك الذى أصابه الاضطراب.. لو كنت تراها بعينيك لرأيته طبيعية مثلما نراها نحن.. أنت تعاني من حالة نفسية إسمها «اختلال الشكل».. والعرض الأساسى فى هذا المرض هو أن فكرة خاطئة تسيطر عليك وتقتنع بها اقتناعا راسخا.. فكرة تتعلق بشكلك.. أى تتعلق بجسدك.. ترى أن جزءا منه له شكل غير طبيعى.. أى انه إحساس بالقبح.. أنت فقط الذى ترى ذلك.. ولذا نقول عنها «فكرة خاطئة» لأن احدا لا يشارك فيها.. ومهما حاولوا اقناعك بخطئك فلن تقنع.. تصديقك للفكرة راسخ.. بعد ذلك تشعر أن الآخرين يلحظون هذا القبح.. ولذلك يسيطر عليك الاحساس بالكآبة.. لدمامتك وأن الناس يلاحقونك بنظراتهم.

وهناك كثيرون يعانون من مثل حالتك. وكل يختار جزءا يشكو منه.. الشفاة الغليظة أو الشفاة الرقيقة.. الذقن المدببة أو العريضة أو الطويلة أو القصيرة.. الحواجب المرتفعة أو المنخفضة أو المنفرجة.. احدهم يرى أن يده اليمنى أقصر من اليد اليسرى، أو أن له رجلا أطول من رجل.. أو أن له ذراعا أغلظ من ذراع.. فأقوم بإحضار مقياس وأثبت له التساوى بين يديه أو ذراعيه أو ساقيه.. ولكنه

يكذب المقياس.. ويكذب عيون كل الناس بما فيهم الأطباء المحايدون.. لا يصدق إلا نفسه .. يمد يده أمامى على المكتب ويطلب منى أن أنظر بإمعان.. فإذا لم أوافقه أتهمنى اما بالكذب أو بعدم الدقة فى الملاحظة.. وجميعهم يطالبون بجراحة تجميلية لإصلاح القبح. أعقد الحالات حين تكون المشكلة تتعلق بالأعضاء التناسلية.. أى يرى الخلل فى شكل هذه الأعضاء.. ويطلب أيضا بجراحة لإصلاح هذا التشوه المزعوم.. وأيضاً يهدد مثلك بأنه سيقوم بأجراء الجراحة بنفسه لنفسه.

وتتوقف الحياة عند هذه المشكلة.. تصبح قضيته ليل نهار.. ينام ويصحو على الفكرة المسيطرة.. يهجر عمله أو دراسته.. يخرج من عيادة طبيب آخر.. يلاحق أفراد أسرته أو أصدقاءه بالأسئلة.. ونادرا ما يدرك أحد أن هناك مشكلة نفسية.

فى بعض الحالات قد يكون هناك اختلاف ضئيل لا يذكر أو لا يلحظ فى حجم شكل جزء من جسمه، ولكن حجم إنشغاله لا يتناسب مع هذا الخلل.. فمعظم الناس لديهم عيوب فى الشكل. وليس كل الناس يتمتعون بجمال الشكل أو بالتناسق الكامل أو بالجاذبية.. بل أن بعض الناس يكون حظهم فى الشكل متواضعا إلى حد كبير.. ولكن كل إنسان طبيعى يألف شكله ويقبله.. كل إنسان راض عن شكله مهما كان هذا الشكل.. كل إنسان يحب شكله ويجد من يحبونه بشكله هذا.

إذا تطلع إنسان إلى المرأة فإنه لا يتفحص تفاصيل وجهه.. لا ينظر إلى كل جزء على حدة، لا ينظر إلى النسب بين مكونات وجهه.. انه يرى وجهه وحدة واحدة.. يراه ككل وليس كأجزاء متفرقة.. وفى الحقيقة انه لا يرى فقط وإنما يرى نفسه ككل.. يرى وجهه مرتبطا بجسده حتى وإن لم يظهر جسده فى المرأة.. يرى وجهه مرتبطا بمعنى اللحظة

التي يعيشها، كما يراه مرتبطا بمعنى كل اللحظات السابقة في عمره.. يرى وجهه مرتبطا بكل عمره.. بمعنى أنه يرى وجوده كإنسان.

والإنسان في حقيقته جسد ونفس ملتزمان أو ذائبان في كيان أو تكوين واحد.. والنفس هي الفكر والعاطفة.. ومن تفاعل هذا الكيان مع اللحظة ينبثق المعنى.. والمعنى هو تأكيد للحياة والوجود.. فالإنسان يدرك حياته ويدرك وجوده من خلال المعنى.. هذه هي قضيته الأولى.. لذا فهو حين ينظر إلى المرأة فإن ادراكه يصل إلى أبعد من الأنف والشفاه والذقن والحاجبين.. انه يدرك معنى وجوده من الوجه ككل واتصاله ببقية جسده والتحامه مع نفسه..

إذن لا يوجد ادراك منفصل للجسد.. كما لا يوجد ادراك منفصل للنفس.. بل هناك ادراك للإنسان.. ولكن ليس ادراكا مجردا.. بل هو ادراك للمعنى.. معنى اللحظة.. واللحظة متصلة بملايين اللحظات السابقة.. ولأنه عاش كل لحظات عمره بكل هذا الكيان المائل أمامه في المرأة (جسدا ونفسا) لذلك تكون هناك ألفة ومحبة مع هذا الكيان.. ألفة ومحبة تكونت خلال رحلة العمر منذ أن وعى أن له جسدا ونفسا.. ولذا فإنه إذا كان أنفه كبيرا حقا فإنه يراه كبيرا وليس غريبا، كما انه لا يستطيع أن يرفض هذا الأنف الكبير.. كما انه لا يطلب تغييره أو تصغيره.. بل أن الفكرة تفرعه.. فهذا الأنف الكبير بدأ الرحلة مع كل هذا الكيان (جسدا ونفسا) فنشأ الانسجام وحدثت الألفة فذاب مع الكيان.. والقبول هنا للكيان ككل.. ولا يمكن أن يقبل البعض ويرفض الآخر.. ولذلك فهو يراه أنفا كبيرا ولكن لا يدركه كبيرا.. والفرق كبير بين الرؤية والادراك.. الرؤية هي شيء مجرد يتم عن طريق العينين.. أما الادراك فهو المعنى.. الاحساس.

والمعنى حالة عقلية داخلية تتم عن طريق الفكر والوجدان..

إذن حالتك هي خلل في الادراك نشأ عن اضطراب الفكر والوجدان..

تبدأ عادة الحالة في سن المراهقة أو بعدها وخاصة بعد حدوث التغيرات الفسيولوجية المتلاحقة في فترة المراهقة.. هذه التغيرات تكون مفاجئة وسريعة ومتلاحقة ومرتبطة بالجنس، ودور الانسان في المجتمع وعلاقته بالجنس الآخر.. موقف المجتمع نفسه يتغير تجاه المراهق.. وبذلك يتعرض لهزة عنيفة وخاصة أن النمو الجسدي يسبق النمو النفسي في تلك المرحلة من العمر.

الحالة تبدأ تدريجيا وقد يسبقها أو يصاحب بدايتها اختلال الانية واختلال الواقع.. الحالة عادة تصيب مرتفعى الذكاء.. تصيب الانطوائى الخجول الحساس المحب للتأمل، خاصة المتأمل لذاته، من ليس له اهتمامات اجتماعية، فهو منصرف لنفسه ينشد الكمال : الكمال في مظهره وأيضا في دراسته أو في عمله .. وقد يكون موسوسا دقيقا وأيضا مترددا.. المشكلة في الاصرار على الجراحة.. وإذا أخطأ الجراح ووافق المريض وأجرى له الجراحة التى يريد بها، فإن الحالة تسوء أكثر.. فالجراحة قد غيرت في شكل العضو ولكنها لم تغير في ادراك المريض.. فلذا فإن المريض يعود ويطلب بجراحة أخرى.. وربما يطلب بجراحة لتعيد الوضع الأول الذى كان عليه وبذلك يؤكد غياب الاستبصار الناشئ عن خلل الادراك، نتيجة لاضطراب التفكير والوجدان.

هذه الحالة قد تأتى مستقلة، تعتبر مرضا مستقلا.. وقد تكون مجرد عرض لمرض آخر، وخاصة مرض الفصام «الشيزوفرينيا»..
●● وكما أن الانسان يقبل شكله كما هو، فإنه يدرك ويقبل الآخرين بنفس الطريقة.. الانسان يقبل ويدرك إنسانا آخر كمعنى مرتبط بمعنى وجوده هو نفسه.. لذا فإن مشاعر الحب والكراهية لا تعتمد إطلاقا على الشكل.. حتى في الحالات التى يشعر فيها الإنسان أنه أحب إنسانا آخر من أول نظرة.. فإن مشاعر الحب هذه ليست

مرتبطة بالشكل.. ولكن الذى حدث أن هذا الشكل ارتبط بمعنى
محب مختزن في ذاكرته.. وحين رأى هذا الشكل ثارت لديه مشاعر
الحب المختزنة، والمرتبطة بهذا المعنى المرتبط بهذا الشكل.. أنا أحبك
هنا معناها اننى حين رأيته أدركت المعنى الصادر عنك.. معنى أحبيته
قبل أن أراك.. وجئت أنت فجسدت هذا المعنى.

قالت له في دلال غاضب :

انك لم تلحظ فستانى الجديد رغم اننى أحرص أن تكون عيناك
أول من تريان كل فستان جديد اشتريه.

قال بابتسامة حانية : حقيقة لم أره ولكننى أدركت معان..

قالت باستغراب : وهل للفساتين معان.

قال: بكل تأكيد.. فأنت التى اخترته بإحساسك حين وجدته ملائما

متناسقا جميلا على جسديك.. وحين لبسته تحول إلى معنى جميل
لم يكن ليكتسبه لو رأيته منفصلا عنك.

سألته : وما المعنى الذى يجسده فستانى؟

أجاب : المعنى هو جمال احساسك.

رقم الايداع ٩٦ / ٩٥١٥

التقييم الدولى I.S.B.N

977 - 08 - 0544 - 0

رويال جيلي

الكسوليت



رويال جيلي
كسوليت
مليئة
بالطاقة والحيوية



رويال
جيلي



لرجال الأعمال والفكرين
للطلاب والدارسين
لرياضيين والمجتهدين
لحيويين الجسم

لزيادة الرغبة الجنسية
والقدرة على التحمل
والحيوية والقدرة
على العمل بكفاءة

رويال جيلي ... من الشباب الدائم ... لا يعترف بالتعب ... لك ولا لغيرك ...

شركة هاركو للأدوية